

دم الزهور

أوراق أدبية

محمد رمضان الأغا

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة

إهداء

إلى روح والدي
في ذكرى الـ ثلاثة عشرة
الذي علمني الصبر و القناعة و التغافل
و "الحنين" إلى "أرضنا"

إلى روح أمي في ذكرها العاشرة
يوم كنت معها على جبل عرفات
فاستجاب الله أمنيتها
أن تدفن بجوار "أمهات المؤمنين" و "الصحابيات" رضي الله عنهم
عدت يومها بـ "معية" ربي
يورقني و ما زال "حنين" إلى ثراها

اللهم اجمعنا وإياهم والمؤمنين في مستقر رحمتك

مُقْتَلٌ مَّهً

النقيـه في المـقـرـ الجـديـ لـإـبـداعـ فـيـ خـانـيوـنـسـ ، تـحدـثـناـ حـولـ رـابـطـةـ الأـدـبـاءـ وـالـكـتابـ ، قـالـ عـلـىـ اـسـتـحـيـاءـ كـعـادـتـهـ: لـيـ بـعـضـ الـمـحاـولـاتـ!! أـثـارـ فـضـوليـ ... دـعـنـيـ أـراـهاـ ... صـحـبـتـ إـلـىـ مـنـزـلـهـ .. دـفـعـهـاـ لـيـ .. نـسـخـةـ وـحـيدـةـ لـدـيـهـ .. وـكـالـكـثـيرـ مـنـ الـمـبـدـعـينـ الـذـيـنـ لـمـ تـرـ أـعـمـالـهـ النـورـ فـيـكـتـبـوـنـ وـيـوـدـعـوـنـ مـاـ كـتـبـوـهـ أـدـرـاجـهـمـ ، وـتـظـلـ حـبـيـسـةـ الـأـدـرـاجـ رـغـمـ قـيـمـتـهـ الـأـدـبـيـةـ الـتـيـ نـقـوـقـ الـعـدـيدـ العـدـيدـ مـاـ تـنـتـدـولـهـ الـأـيـديـ منـ أـعـمـالـ لـأـنـ (ـأـصـاحـبـهـ)ـ لـدـيـهـمـ الـاسـتـعـادـ لـلـمـغـامـرـةـ فـيـدـفـعـوـنـهـاـ لـلـنـشـرـ .. وـلـكـنـ الـمـبـدـعـ الـحـقـيـقـيـ لـاـ يـمـلـكـهـاـ، بـلـ إـلـشـفـاقـ عـلـىـ ثـمـرـاتـ مـشـاعـرـهـ وـأـحـاسـيـسـهـ مـنـ أـلـاـ يـكـثـرـ لـهـاـ فـتـكـونـ صـدـمـةـ قـدـ تـؤـذـيـ مـشـاعـرـهـ وـأـحـاسـيـسـهـ، وـتـبـيـنـ لـيـ -ـ بـعـدـ نـظـرـةـ خـاطـفـةـ -ـ أـنـ مـبـدـعـهـاـ يـمـلـكـ أـرـقـيـ الـمـشـاعـرـ ، وـكـمـ فـوـجـيـ بـمـاـ لـاـ يـتـوقـعـ وـافـقـ عـلـىـ أـنـ تـأـخـذـ طـرـيقـهـاـ (ـلـلـتـحـكـيمـ)ـ وـإـذـاـ مـاـ رـاقـتـ لـلـمـخـصـيـنـ فـلـتـشـرـ ، وـهـكـذاـ كـانـ .. أـخـدـتـهـاـ ... قـرـأـتـهـاـ ... شـلـتـتـيـ صـورـهـاـ الرـائـعـةـ الـمـكـثـفـةـ، لـغـتـهـاـ السـرـيـعـةـ الـمـغـلـفـةـ بـرـمـزـيـةـ شـفـافـةـ غـيـرـ الـعـادـيـةـ.. الـتـكـثـيفـ الـذـيـ يـتـحـدـىـ عـقـلـ الـقـارـئـ وـقـلـبـهـ وـكـلـ حـوـاسـهـ لـإـدـرـاكـ جـمـالـيـاتـهـ.. مـنـظـومـةـ الـقـيـمـ الـمـتـنـاسـقـةـ الـجـرـيـئـةـ ذاتـ الـنـكـهـةـ الـأـصـولـيـةـ الـمـعاـصـرـةـ، وـإـنـ شـئـتـ فـقـلـ: تـرـيـنـهـ حـمـرـةـ الـحـيـاءـ، أـوـ حـمـرـةـ وـرـدةـ الـجـوـريـ الـتـيـ توـشـكـ عـلـىـ نـشـرـ عـقـهاـ.. هـذـاـ مـاـ وـجـدـتـهـ فـيـ هـذـاـ عـلـمـ الـإـبـداعـ الـرـاقـيـ الـذـيـ فـاضـتـ بـهـ مـشـاعـرـ الـرـائـعـ الـأـسـتـاذـ الـدـكـتـورـ مـحـمـدـ الـأـغاـ، الـمـذـهـلـ بـصـمـتـهـ، وـكـأنـ عـقـلـهـ فـيـ شـغـلـ دـائـمـ فـيـ

التقط الصور، التي تحولت إلى هذا الإبداع ، والمذهل أيضا في تحويل الأرض إلى جنан خضراء ذات ثمار وأزاهير رغم القيد والسجان والحاصر، وكأنها اللغة التي يعبر بها عن نفسه وما يتبقى له منها، نثرها على الورق، فكان هذا الإبداع الذي حظي بالرضا بإجماع المحكمين الصارمين: الأستاذ الدكتور : جهاد العرجا، والأستاذ الدكتور : موسى أبو دقة، والأستاذ الدكتور: عبد الخالق العف، و قالوا جميعا: الله.. وهم الحريصون على ألا يدفعوا للنشر إلا الأعمال الأكثر تميزاً وإبداعاً، وفق معايير دقيقة وحساسة اعتمدتها رابطة الأدباء والكتاب الفلسطينيين بما تتناسب من سمو الهدف وسمو فلسطين؛ أرضاً وإنساناً وهوية.. وأخيراً فإنه ليشرفني جداً أن أقدم هذه المشاعر والأحساس والقيم التي تضمنتها كلمات المبدع الرائع وزير الزراعة الفنان الأستاذ الدكتور : محمد رمضان الأغا إلى قارئ ذي مشاعر وأحساس راقية، دائم البحث عن كل جميل وممتع، خال من الضجيج والتكلف والتزاويق والخشوع..

د. عطا الله عبد العال أبو السبع
وزير الثقافة الفلسطيني الأسبق
رئيس رابطة الأدباء والكتاب الفلسطينيين
غزة – أغسطس 2010 م

مقاربة نقدية في أدب محمد رمضان

بِقَلْمِ نَزَارِ بَهَاءِ الدِّينِ الزَّيْنِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين،
وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد
تناول هذه الدراسة سبعة من أعمال الأديب المبدع محمد رمضان
الأغا:

- 1 - الطاحونة 2 - دم العرائس 3 - هدية شارون 4 - الطفلة العارية
5 - العصفورة 6 - دم الزهور 7 - عطور الفجر

* * * * *

-1-

الطاحونة

يصور لنا الكاتب في قصته (**الطاحونة**) المأساة الإنسانية المتواصلة، التي يعانيها الفلسطينيون، منذ ثلاثينيات القرن الماضي؛ بلسان جدة عجوز كُتب لها أن تعايش حلقات المأساة واحدة إثر الأخرى: *. وهي تدور الطاحونة بيدها اليمنى، يدور أمام ناظريها شريط حياتها الطويل، من نكبة إلى نكبة ومن هجرة إلى هجرة ومن حزن إلى حزن " * " - كان بيتنا الأول في المجدل، - وكان بيتنا الثاني في مخيم رفح بعد الهجرة

- ولماذا جئت إلى جباليا يا جدتي؟

- لقد هدموا بيتنا في رفح "

ثم ينقلنا شريط الذكريات إلى بدايات المقاومة متمثلة بعز الدين القسام ورفاق دربه فرحان السعدي ورشيد حنبلی وسواهم:

* "لقد كان المجاهدون يأتون عند جدي في ساعات السحر، وكانت أسمع همساتهم وأنظاهم أني لا أفهم شيئاً منها !

آاه كم أكل فرحان السعدي من فريكة خرجت من هذه الرحي وما زلت أذكر - كما أراكם - كيف كان والدي يحمل الخبز والجبين والزيت للمجاهدين في الأحراش "

وبينما كانت تطحن العدس والبرغل والفريكة بين حجري رحي طاحونتها اليدوية التي قدت "من صخر البلاد"، مقابل دريهمات تسد بها الرمق، كانت تحكي لأحفادها ورفاقهم من أولاد الجيران، وللعصافير الجريبة التي ما فئت". تلقط ما تثار من بقايا حبوب " تحكي لهم عن النكبة بمفرداتها وأثارها .

لقد نجح الأديب محمد رمضان في (الطاحونة) ببلوغ هدفه من خلال تعبيرات خالية من التكلف، وببساطة وشفافية ويسراً ! يرافقها جميعاً تصوير بديع :

* "جلست جدي أم أحمد كمليلة بثوبها الفلسطيني المطرز"

* "يتجمع حولها أبناؤها وأحفادها الذين جاوز عددهم المائة ، يقللون يديها وخدّيها ويتركون بالنور الذي يسطع من وجنتيها "

* "تتربيع أمام بيتها الثالث في مخيم جباليا على جاعد وثير من جلد خروف ذبحه ابنها البكر في آخر عيد أضحى ، وإلى جانبها مصحفها

الكبير وعصا لوز تتوكاً عليها أو تهش بها على أطفال الجيران أو أحفاد
قد يضايقونها أحياناً ”

* يتحلق حولها صبية المخيم يستمعون لحكاياتها ويدورون حولها كما
”الرحي“

لقطات بيد مصور بارع يختتمها بلحظة النهاية الحزينة :

* ”دار الأطفال“ دورتهم، وعادوا، فوجدوا جدتهم منحنية على الطاحونة
كأنما هي قبلها، نصف وجهها يستنقى على الطاحونة والنصف الآخر
يستنقى على مصحفها ذي الأوراق الصفراء .

-2-

دم العرائس

في دم العرائس، يستعيير الكاتب حكايات كليلة ودمنة ، ليصل إلى هدفه
في تصوير بشاعة الاحتلال وممارساته الإنسانية .

تمثل الفراشات الشعب الفلسطيني بجميع فئاته: ”في وادي الفراش
”المقدس“، تعيش آلاف من الفراشات، في مودة ومحبة وصفاء ونقاء“
بينما تمثل الذئاب الهجمة الصهيونية الشرسة مذ قرر الصهاينة إحلال
شتائهم محل الفلسطينيين العرب:
” ما رأيكم إذن في دم الفراشات الصغيرة ؟“

- آآه ... إنه من الأذنات الشرابة ، لقد دعاني "شعبان" يوماً على حفلة كان فيها هذا الدم هو المشروب الرئيسي ، ما زال طعمه الرائع في " فمي

وتعبرنا عن عدم تقرير العدو بين صغير أو كبير في هجمته المسحورة ، يحرّض أحد النّاب رفاقه قائلاً:

- إذن علينا أن نذهب إلى وادي الفراش ، ونقف أمام المدرسة الابتدائية ونحاصرها ونصطاد الفراشات الصغيرة لذبحة الطعام " وفي أعقاب كل ضربة ، يلملم الفلسطينيون أنفسهم ويضمدون جراحهم ، ثم يصر من بقي منهم على قيد الحياة ، على الصمود والمقاومة : *

* أفلنت بعض الفراشات من بطش العدو وناره السوداء الحادة اختبأ في أنفاق تحت الأرض

بين "ظلمة الدنيا" و "نور إيمانها" بعدلة قضيتها وقداستها وطفقت في لملمة صفوفها وجراحتها صنعت صواريخ بدائية جداً

من بقايا المعدن والورق والكرتون"

ويختتم محمد رمضان الأغا قصته بأمل يداعب مخيّلة كل فلسطيني : وعربي :

" عادت الفراشات إلى مسقط الرأس في وادي الفراش المقدس وهي تتشد نشيد العودة "

أفلح محمد رمضان الأغا ببلوغ هدفه ، ونجح بتوظيف اللاّبشر في خدمة غرضه؛ إلا أن رموزه كانت من الشفافية بحيث كشفت عن هدفها بدون عناء ، وهذا بحد ذاته أحد نجاحاته .

وأستشهد على ذلك بتعليق للأديب عبد الهدى شلا قال فيه:
" ما أجمل أن ترى فراشة تتنقل بين الزهور وأنت تغسل هموم يومك في حديقة الوطن الكبير، وما أقسى أن ترى خستهم تمتد لتعتال وداعتها وتمزق رقتها إرباً إرباً، وتتشتت جسدها الضعيف لتشبع شهواتهم وغرائزهم الحيوانية.." .

* * * * *

-3 -

هدية شارون

بعد أن حلق بنا الأديب محمد رمضان الاغا في عالم الرمزية من خلال كليلته ودمنته، يعود بنا في (هدية شارون) إلى عالم الواقع المؤلم، فغدير التي أكملت سنينها التسع لتقف على اعتاب العشر، تثيرها المناسبة فتبداً باتخاذ العدة للاحتجاء بها كما وعدتها أمها:

- * " تعطيها أمها بضعة دراهم لتشتري فيلماً لالتقط صور عيد ميلادها تقول لزميلاتها :
 - * " انتواليوم معزومات على حفلة عيد ميلادي "
 - * " استنفت كاميلا خالي "أبو طارق" وماما راح تحضر أحلى كعكة " ثم يصور لنا الكاتب ببراعة حال التلميذات وهن في طريقهن إلى المدرسة جذلات :
 - * " سارت الزهارات في طريقهن إلى المدرسة، يسرعن في المشي تارة، وبيطئن أخرى، و قطرات الندى تغسل جماههن الرقراقة كالنسيم، والشمس ترسل باكورة أشعتها الصباحية لقبل أجمل الوجوه التي تتباخر على الأرض التي بارك الله فيها و حولها "

ثم يذكرون فجأة أننا ما زلنا تحت وطأة الحصار:

* ينظرن إلى أبراج المراقبة التي يعتليها جنود الاحتلال وتشرف على
المخيم "

ويبدأ جنود العدو بإطلاق الرصاص، إلا أن الصغيرات، لا يأبهن، فقد
اعتنى على عربتهم، شأنهم في ذلك شأن سكان المخيم جميعاً:

* الجنود يطلقون النار في كل اتجاه وفي كل وقت، وأهل المخيم
اعتادوا على أصوات الرصاص والقذائف والهدم والصرارخ العبرية
الحادق... الدبابات تروح وتجيء وهي تطحن الأرض طحناً وتنثر في
مؤخرتها دخاناً وغباراً يعمي العيون ويزكم الأنوف..."

وغير هيبة، تمضي غدير باستعدادات عيد ميلادها، فتتووجه إلى استديو
القدس لتشتري الفيلم الذي سيحفظ تلك الذكرى المبهجة، عندما يستأنف
وحوش الأبراج إطلاق النار:

* تهرب الزهرات كل في اتجاه
بعضهن إلى المدرسة

وبعضهن خلف الجدران

تسرع غدير لكن الرصاص أسرع
تندحرغ غدير على الأرض "

وإمعاناً بوحشيتهم يفرغ أحد جنودهم خزنة رشاشة كاملة في جسدها
الغض فيمزقها إرباً، وادعى بأن الشهيدة كانت تحمل في حقيبتها
متفجرات، جاء ذلك التبرير السخيف، على لسان إذاعتهم:

* يعلن راديو "إسرائيل" أن طفلة قتلت في مخيم رفح وقد كانت تتوبي
تنفيذ عملية انتحارية حيث كانت تحمل على ظهرها شنطة متفجرات"

وإظهاراً لديمقراطيتهم الزائفة أمام العالم، تمت محاكمة صورية للجندي القاتل:

* تمت محاكمته أمام محكمة عسكرية وقررت الحكم عليه بالسجن لمدة "شهر" مع وقف التنفيذ !!!

نص سردي كلاسيكي مفعم بالصور القاتمة لمأساة متواصلة يعيشها الفلسطينيون، الاحتلال لا يفرق بين صغير وكبير أو بين أنثى وذكر، الحقد الكريه الذي يعيش في نفوسهم العدوانية، يجعلهم يرون في كل فلسطيني - حتى لو كان طفلاً - إرهابياً يسعى لاستئصال إسرائيل .

- 4 -

الطفولة العارية

في هذا النص، يعزف محمد رمضان على أوتار قلوب قرائه لحناً عاطفياً حزيناً، يرغّم عيونهم على بذل الدمع السخي، لحن يحكى من خلاله عذابات أطفال المخيمات.

فراس طفل السابعة من هؤلاء، يقضي نصف يومه في المدرسة ونصفه الآخر يلعب والدته التي تتقبل عبئه بصدر حانٍ فتسايره أحياناً وتنتجاهله أحياناً أخرى:

"تبثث أمه عنه تارة تحت السرير وتارة أخرى يختبئ منها في دولاب الملابس وثالثة يتوارى وراء باب هذه الغرفة أو تلك ينتظر أن تبحث عنه أمه هنا أو هناك في لعبة يعشقها كل يوم وحينما يطول انتظاره لها وهو

في مخبئه السحيق يقلد أصوات القطط أو العصافير لأنما يستحق أمها
للاسراع في البحث عن عصفورها

وفجأة تكتشف فيه رجلة مبكرة، طفلاها لم يعد ذلك اللعوب، طفلها أصبح
يحس بمشاكل الآخرين ويحزن لحزنهم ويشقى لشقاهم:

" - أماه... هل سمعت ... هل سمعت انفجارات الأمس؟ اليهود نسفوا
بيت سلوى في المخيم الغربي ، واحتقرت كل ملابسها ودافتها
وكتبها... وجاءت اليوم إلى المدرسة بلا شنطة وبملابس رقيقة وكانت
أسنانها تصطك من البرد اصطكاكا. "

وكم مثالية، تخرج أم فراس صندوق ملابس ولدها، ثم تترك له الخيار
في انتقاء ما يشاء ليقدمه لزميلته سلوى :

" يتناول فراس "بلوزة" شتوية وبنطالاً جديدين، وطاقية من صوف لم
يلبسها بعد وملابس داخلية شتوية جديدة، وشمسية صغيرة أهداها إليه
خلاله قبل أيام ،

تكتوي أمه الملابس، تضعها في حقيبة مدرسية صغيرة، يفرح فراس
ويقول :

- كل هذا لـ "سلوى" يا أمي ؟!

وفي المدرسة تحببه المعلمة وتكتير فيه أريحيته المبكرة، أما سلوى فتقابل
كرمه بابتسمامة عريضة :

" ترتدى "سلوى" الملابس الجديدة، وتبتسم ولا تسعها الدنيا فرحا !
يتوقف فراس عن اللعب ويتحول تفكيره إلى هموم الآخرين، وبدلاً من
اللعب مع أمه أخذ يلحف بالسؤال عليها:

* - ما هي دعوتك التي لا يعلمها إلا الله يا أمي؟ "

فتخيّبه بعد أن تمنعت طويلاً:

" - يا رب هذا الكون، من رأى عذابات هؤلاء الأطفال في العراق وفلسطين وأفغانستان من حكام العرب والمسلمين وكل العالم وكان قادرًا أن يفعل لهم شيئاً ولم يفعل، فلا تجعله يا رب يشم رائحة الجنة " دعوة، لعلها تخرج كل يوم من أفواهآلاف الأمهات، وفي موقف عاطفي غير مسبوق وتعبيرًا عن نضوج فراس المبكر، ما أن تذكر أمه كلمة الجنة حتى يسجد بين قدميها : " وانحنى نحو قدميها يقبلهما، ويشم رائحتهما، ويمرّغ خديه فيهما، ويغضبهما حيناً آخر، قالت له أمه : - " مَاذَا تصنع يا فراس؟

- أشم رائحة الجنة، قالت لنا المعلمة: ((الجنة تحت أقدام الأمهات)) ...

ويختتم محمد رمضان بهذه الموقف الإنساني الشاعري ملحمته الرائعة، أما أنا فأختتم بتعليق للكاتبة (فاطمة) تقول فيه: "عذابات أطفال لا تحتملها الجبال .. عربي وفقر وإصرار على إمساك الشمس .. هدم ومخيمات .. ضحكات زهور لا تأبه لليد الشيطانية وترد عليها بالتحدي والتعاون .. ملائكة الجنة بضحكتهم وبراءتهم تغلف المعاناة وكأنها تقول - ما بعد الضيق إلا الفرج - قصصك تلامس العقل والروح والوجدان لواقعيتها".

* * * *

العصفورة

في هذه القصة فراس أيضا، طفل السابعة هذا يشفق على عصفور طفل، لجأ إلى نافذته، فيطلب من والدته أن يحتضنه حتى زوال العاصفة الماطرة في الخارج، ويظهر نضوجه جلياً عندما تعلمه أنه ألم كل المخلوقات لديها بيوتها :

* - نعم يا ولدي، فكل العصافير لها أعشاش كما كل الناس ، فهل هناك أناسٌ يا ولدي ليس لهم بيوت؟
فيجيبها واتقاً مما يقول :
* - نعم يا أماه

- الذين هدم "اليهود" ببيوتهم!!!!
نعيير غير مباشر لمساعدة شعب يعاني من أشرس أنواع الاستعمار، عدوا لا يستهدف الناس فقط بل البيوت والبساتين وينابيع الماء .

وكعادته يصل محمد رمضان الاغا إلى هدفه تدريجياً بعد عرض صور تعبرية شائقة تشع بالإبداع:

* تلبد السماء بالغيوم الكثيفة المتراکمة فوق بعضها البعض واكفر وجهاها الأزرق الجميل حتى غداً قاتماً

* ها هو المطر ينهمر ويقفز "فراس" في غرفته مسروراً، ويصرخ منادياً إخوته ليشاهدوا الأمطار تعزف أنشودة السماء "

* ينتقض العصفور الصغير فتتطاير درر الماء عن ريشه الحريري لتهبط إلى الأرض مع حبات المطر فترىدها جمالاً إلى جمالها "

وبينما كان العصفور ينشر درر الماء كان محمد رمضان ينشر درر كلماته الحلوة .

وأختتم بتعليقات بعض الأدباء :

* "عصفورتك متماسكة، واتقة الخطى، بعيدة عن التطويل والهتاف والوعظ، قريبة من الوجدان، تتساب بيسر عبر ذلك الطفل العصفورة، الممتئ مطراً وفرحاً وثباتاً .

قد يتمكن الغزاة من ردم الأعشاش والبيوت والسقوف لكنهم لن يتمكنا من هدم الأحلام والزغاريد المشبوبة . هكذا تعانها العصفورة الطفالة والطفل العصفورة .

زكي العيلة "أديب وقاص فلسطيني

* يأتي العصفور الذي يغني أنسودة الخير وفرح الأرض ليعطي قصتك التصاعد الدرامي المطلوب والمقصود، حين يحمي الطفل خذنه في البراءة ويطلقه بفضاء الحرية، لنصل إلى السؤال الذي تعرف الأم إجابته لكنها تريد أن تختبر وعي طفلها المبكر، الذي يقدم إجابة فيها كل الحزن والمرارة والإدراك، ودمت مبدعاً.

سليمان نزال" أديب وشاعر فلسطيني الدانماركي

* لقد عصرت أجسادنا وأخرجت منها الحزن .. مطراً ينهر .. نحن العصافير .. في غربتنا.. بيننا وبين الوطن .. زجاج شفاف .. نراه من خالله فرسمه في قلوبنا زخارف وأهازيج فرح كبير .. وحزن عميق .. نمنحه للبيت الكبير (الوطن) من خفقان قلوبنا أنغاماً وألحاناً .. وعصافير.

عبد الهادي شلا "أديب وفنان فلسطيني كندا"

* " رصدك الإنساني يتفوق على نفسه .. وتفوز من عمل إلى عمل نحو سمو إنساني لانهائي ..
 أخي محمد ..
 وكأنك تعيش في قلب طفل .. ترى رؤاه وتحلم أحلامه وتنهي لهوه وتفرح فرحة ..
 وكأنك اخترت الطفل ليكون رسولك نحو قلوب قرائك .
 نجلاء محمود محرم " أدبية و فاصلة من مصر

-6 -

دم الزهور

ينقل لنا محمد رمضان في قصته (دم الزهور) - كعادته - الواقع المؤلم الذي يعيشه الفلسطينيون ويصيغه شعراً منثوراً، يبتدىء - كعادته - بتصوير الحياة على طبيعتها، ومن خلال تصويره ثلاثي الأبعاد، يعرفنا على بطلة قصته سماح، ذات التسع سنوات: طلاقة لسانها، نضوجها، دقة ملاحظتها، معرفتها بالمخاطر حولها، مبادراتها التي تجعلها زعيمة لأنزابها دون قصد منها:

* " - وهل هناك أحلى من أن يموت الإنسان شهيداً
 تغنيان معاً وبغفوة طفلاًتين بربئتين :
 "على القدس رايحين ... شهداء بالملايين"

تنبهان فإذا عشرات من الأطفال يسيرون خلفهما ويرددون نفس النشيد
حتى طغى على صوت الزنانة للعينة"

* " تخرط المعلمات وينشنن وراء سماح .. تسيل دموعهن على
وجنائزهن أنهارا... أخذت جراث المدرسة تهتز وتتردد الغناء كما الأشجار
والورود والزهور في ساحة المدرسة"

وبعد أن يعني محمد رمضان الاغا نشيد الحياة مع تلميذات مدرسة طارق
بن زياد تستمع معه ومع معلمات ومديرة المدرسة، إلى خطاب سماح:
* " واستمرت سماح في كلمتها ومديرة المدرسة والمعلمات مشدوهات
مأخوذات بما يسمعن من عمق، في كلمة طفلة تقف على اعتاب زهرتها
التسعة، وكأنها ابنة العشرين أو يزيد"

ويتصاعد الكاتب في نصه رويدا رويدا إلى أن يبلغ الذروة في لحظة
المأساة، عندما تسقط قذيفة إسرائيلية على تسع من الزهارات ومعلمتهن،
كن يعدن العدة لحفل تكريم سماح لنفوقها في فن الخطابة.

* "... ترنمي الزهور ومعلمتهن على الأرض ودمهن يفور من الأنف
والفم وجروح تملأ أجساد النعناع.."

كان هاجس سماح، حتى وهي مصرجة في دمها، أن تدخل الفرح إلى
قلب أمها المكلومة بفقد شقيقها:

* " وسماح تشطح بفكرها وفي ذهنها كيف يكون غداً أجمل أيامها وأيام
أمهما، تود أن تزرع الفرحة في قلب أمها بعد الحزن الذي أصابها في
السنة الماضية وذلك بعد استشهاد أخيها أحمد" أطفال يحبون الحياة ولكن
وحش الاحتلال يجثم فوق صدورهن يعرقلها، يعوقها، أو يخطفها، دونما
تفريق بين أنثى وذكر أو بين كبير وصغير !

بكلمات بسيطة خالية من التكلف - كعادته دوما- يرسم لنا الأديب الأستاذ محمد رمضان الاغالوة تعج بالحياة بواقعها الحلو و المر.

7

طور الفجر

في أسلوب مبتكر ، سينتهجه الكاتب فيما بعد في سلسلة قصصية أطلق عليها الأستاذ الأديب والنافق، زكي العيلة: سباعيات محمد رمضان. يستنطق الكاتب الفراشات والأطياف والأزاهير والرياحين والعطور، وأشجار الزيتون وسنابل القمح، التي تعرف له جميعاً أنها من عبق الشهداء الأطفال ، وبرمذية غير معقدة يستشرفها القارئ بسهولة، وبعبارات هي أقرب إلى الشعر تهز عواطف القارئ وتستدر دموعه. وهكذا استطاع محمد رمضان أن يخلد صغار الشهداء ... كمحمد الدرة وإيمان الهمص وغيرهما كثير.

ولم يفت الكاتب أن يغمز من خمولبني يعرب فيقول على لسان عبير:
* قالت السماء: لست أنا من يطير إنما تحملني أرواح الشهداء في فلسطين والعراق والأفغان"

ويختتم الكاتب قصته بنص شاعري رائع حين يقول على لسان عبير أيضا:

* "تساقطت الحروف من السماء كلّي المطر ملأت الكون من عبيرها الفواح عطرا "

* "جمعت عبير آلاها منها في حجرها المنسوج من عروق الندى زرعتها وقرنياتها على شاطئ الشهادة الممتد على طول المدى..

* " نبتت الحروف على الأرض و زينتها على شكل لوحة مكتوب عليها بالأقمار "الشهيد حبيب الله" ذهبت عبير إلى حضن أمها - أريد أن أموت شهيدة يا أماه " وأختتم بتعليق رائع كتبته الفاصلة ميسون أبو بكر -أديبة و شاعرة فلسطينية- حول (عطور الفجر) قالت فيه: "الأطفال كالرياحين تنبت على أرض الوطن تنمو من مائه أو تسقي الأرض من دمائهم الطاهرة حين يغتصب طفولتهم المحتل، دمائهم الغالية تسقي الشجر، ويحمل عقبها البحر، ونسائهمها تعلل السماء في عيلائها ! فيصبح الوطن يحمل ملامح أولئك الشهداء هم ماتوا ليعيَا الوطن. لا أقدر أن أقف عند جملة أو جملتين مما كتبت لأقول لك سيدى كم هي مؤثرة، وكل ما كتبت حساس رائع، كلماتك كالموسيقى كلائ السماء، كدموع البحر، كالندى دام قلبك طاهرا ونقيا ليسكب كل هذا الطهر في آنية قلوبنا ! "

وصفوة القول:

تنحور قصص محمد رمضان في خطين رئيسيين:
أولهما: التعبير عن معاناة شعب يعيش تحت أشرس أنواع الاحتلال.
ثانيهما: تمجيد الشهداء وخاصة منهم الشهداء الأطفال وإحياء ذكر أهله.

أما اللغة: فمتاز بشاعريتها وببساطتها وخلوها من التعقيد مع ترميز شفاف يظهر على الأخص في سياقاته.

وعلى العموم نحن أمام أديب مبدع يمتاز بغزاره إنتاجه، أستحق بجدارة، أن يعتلي عرشا من نور.

*نزار بهاء الدين الزين

سوري مغترب-عضو اتحاد كتاب الانترنت العرب
عضو الجمعية الدولية للمתרגمس واللغويين العرب

العصفورة

تلبد السماء بالغيوم الكثيفة المتراكمة فوق بعضها البعض واكفره
وجهها الأزرق الجميل حتى غدا قاتما وخبات الشمس وراءها فلم يعد لها
من وجود في عيون "فراص" الذي يقف على اعتاب ربيعه السابع ...
سأل "فراص" أمه:

- أين ذهبت الشمس يا أمي؟؟
- غطتها الغيوم
- لماذا؟؟
- لأن الدنيا ستمطر إن شاء الله.

نهال وجه "فراص" فرحا، وتسمى على شباك غرفته الزجاجي وأخذ ينتظر
هطول قطرات الأولى لمطر هذا العام، ها هو المطر ينهمر ويقزز
"فراص" في غرفته مسرورا، ويصرخ مناديا إخوته ليشاهدو الأمطار
تعزف أنشودة السماء "فراص" يحب المطر والماء المناسب على زجاج
شباك غرفته يحاول إمساك قطرات الماء أو ملامستها ببديه من وراء
الزجاج لكنه لا يحوز منها شيئا. يرى عصفورا صغيرا يقف على الشباك
يحاول أن يداري نفسه من غزير المطر المتسلط وهو يغني أنشودة

الخير وفرح الأرض... ريشه الجميل مبلل بالماء يضم العصفور عنقه
إلى صدره كأنما يحن إلى صدر حنون... يفتح عينيه نصف فتحة يرافق
رذاذ الماء المتاثر حوله... ينقض العصفور الصغير فتتطاير درر الماء
عن ريشه الحريري لتهبط إلى الأرض مع حبات المطر فتربيدها جمالاً
إلى جمالها لأن العصفور ينتظر أن تنتهي السماء من مطراها لينهل
فرصة الهرب إلى حضن أمه الدافئ ... يصرخ "فراس":

- سأفتح له الشباك يا أمي

- لماذا يابني؟

- لأقيه الماء، ثم أطلقه إذا ما توقف المطر

- دعه يابني، سيطير إلى بيته بعد قليل

- وهل له بيت يا أماه؟

- نعم يا ولدي، فكل العصافير لها أعشاش كما كل الناس، فهل هناك
أناسٌ يا ولدي ليس لهم بيوت؟

- نعم يا أماه

- من يا ولدي؟

- الذين هدم "اليهود" ببيوتهم!!!!

لا ترجيني

عاد من مدرسته يحمل ابتساماته الجميلة على شفتيه ووجنتيه الحمراوين
اللتين صبغتهما الشمس بذئتها فغدا وجهه كنقاحة رائعة.
قال لأمه وهي تسكب أنهارا من جنان حنانها وقبلاتها على وجهه
الصحيح:

إِذَا جَئْتَ غَدًا إِلَى الْمَدْرَسَةِ يَا أُمِّي وَسَأْلُوكَ الْمُعْلِمَةَ سُؤَالًا لَمْ يُجْبَ عَلَيْهِ أَحَدٌ
غَيْرِيِّ، وَصَرَخْتُ الْمُعْلِمَةَ بِأَعْلَى صَوْتِهَا قَائِلَةً: صَفْقَوْلَهُ، فَأَرْجُوكَ لَا
تَنْضَدِكَ

لماذا يا حبيب؟ -

- حتى لا تحرجني أمام أصحابي !!!

العبدة السوداء

ركل الجسر بقدميه وسار نحو القدس يحمل وصية أمه بقلبه المكلوم
وعلى صفحات روحها كتب قصيدة الحب للوطن الرائع، يحمل في قلبه
هوية من كل ذرات الرمل ونسمات الهواء وهو يستنشق عبير الزيتون
المناسب في طواحين الندى القادمة من كل مكان ترسم علامات النصر
بزيت الزيتون وحبات اللوز والتين فيرفعها صلاح الدين على ماذن
القدس ولا يلوى إلا على صخرة قالت له أمه إنها قد وقف يوماً عليها
سيد الخلق عارجاً نحو السماء السابعة وأعلى ...

أمسك حجرين، لثم الأول بشفتيه فذاب من الوجد شوقاً وهو يتهدج
ويتهجد أسماء أطفال شيدوا بدمائهم قصوراً من نور تعلو في سماء
الوطن الجريح فما نام له قلب ولا أغمض له جفن إلا على هدير دبابات
تطحن الصخر طحناً، وذاك الطفل ما عاد يجد الطحين في بيته المهدوم
فوق رأس أمه وأبيه فمكث أياماً يخرج بقاياهم وال مجرم يتسلى على مشهد
طفل فوق مسرح الواقع المقيت ولا معين إلا نسائم عطر تتسلل من بين
الركام فترشده إلى الجنة التي يرقد فيها والداه معاً والثاني حفر له أخدوداً
بقلبه فذاب فيه كما قطعة سكر

وبديمقراطية شهد لها الكون اختارت العصافير صلاحا، فقام القاتل وأمسك عنق العصفور الجريح، نظر العصفور إلى السماء بدأ يقرأ الحان الحنان التي كان جده يوما يناغي بها الصخرة وهي تبكي لتصعد إلى السماء مع دعاء جدته التي جاوزت بحر الحياة بمائة عام ولا يزال لديها مزيد...

صلاح: عد لأمك ومعك مفتاح المدينة وأعطيها إيه ليشهد الكون أن امرأة معها المفتاح بوقت عز فيه الرجال فهربوا في دهاليز العبدة السوداء تأمر وتنهى فلك الله يا أم صلاح!!!

لعاذا يا أمي

دلف ورأسه مبلل بالندى الصباحي الذي يزين الشوارع هو في الفصل الثاني وروحه معلقة في الفصل الأخير في هذا الكون...
أخرج دفاتره وأقلامه وألوانه وأخذ يرسم العلم والأقصى وشجرة الزيتون:

غداً سأقطف ثمار الزيتون مع جدي ...

سأراققه نحو المعصرة وأحمل خبزا وجينا.

يرسم الرغيف والطابون والماعز ...

يعلم كما كل أطفال الكون ...

دق بباب الفصل تلميذ في مثل سنه أو أكبر قليلا ... أرسلت له معلمته لجيب سؤالا عجز عنه طلاب الفصل الثالث. أحاب عنه بجدارة ورسم على السبورة نعش شهيد وبن دقية.

صرخت معلمته بأعلى صوتها: صفقوا له.

صفقوا ولكن بصوت ضعيف خفيض لا يكاد يبيّن ..

صرخت مرة أخرى: أعلى... أحمى... أقوى

صفقوا كأعلى ما يكون التصفيق حتى صرخ الصف كلها.

قال لأمه:

- ضحكت يا أمي وأدرت وجهي في اتجاه آخر حتى لا يراني التلاميذ
ضاحكا...

لماذا يا أمي لا أحب أن يرونني ضاحكا؟!

- أتدررين لماذا؟

- لماذا يا قلبي؟

- أذكر عشرين شهيدا من مدرستي سقطوا فيها.

المعلمة السوداء

أعلنت دائرة التفتيش في بيت "الحاكم بأمره" أن المعلمة السوداء سوف تصل إلى (القرية) الفلانية لإجراء تفتيش شامل على "المخاتير" فيها والتأكد من أنهم يقصون أطفالهم دورياً ويحملون مناديل ورقية وقماشية لمسح "أنوفهم" و"شفاهم".

واستعد المخاتير والوجهاء أيمما استعداد وقاموا بكلس "الشوارع" و"الشوارب" ورفع "الأعلام" و"الأزلام" حتى غدا المكان كأنه ليس "هو" وظن أهله أنهم "موقعوه" من الألم الراسي فوق الجبهة والجبال ...

اصطفوا جميعاً على صعيد واحد ووضعوا مناديلهم القماشية والورقية بأيديهم كما تلاميذ مدرسة صغيرة في طرف بعيد من أطراف "قريتها" التي كانت يوماً ملتقى العزة والكرامة...

وصلت "المعلمة السوداء" وببيتها أشياء لم نميزها لا أدرى لجهل بنا أم لغشاوة على أبصارنا من وهج النار أم ضعف أبصارنا والأفئدة.

وصفعت الأولى خمساوي
والثانية ركلته بقدمها
والثالث بصقت في وجهه

والرابح جلته بكرجاج في يدها

والخامس فقأت عينه

والسادس وسمته على الخرطوم

والسابع قطعت أذنا له

والثامن كسرت يده اليسرى

والحادي عشر قطعت قدما له

والعاشر بقرت بطنه

و

و

و

الثاني والعشرون

وجدته قد قلع أسنانه وقطع أصابع يديه وقدميه ووضعها جميعا في

"حاوية" سوداء ضخمة، فنظرت إليه وقالت:

- شاطر يا ولدي أنت من تستحق كرسيا وصحيفة وفضائية وـ "شعبا"

وعلم..

الفارس ووشوشتات القمر

(1)

بينما كانت الورود تفتح في عتمة الضمير العربي المستتر، والذي لا محل له بعد من الإعراب وبرغم محاولات يائسة من سيبويه طوال قرون عديدة من الحزن والألم، قال الفارس لعمر: دلني على الطريق!!.

(2)

أعطاه عمر وردتين، الأولى ذابت في دمه وفتح الثانية فوجد بها كتاب خمسة حروفها مليئة بدمنا العربي المنتاثر في كل مكان من المعمورة التي بدت في أرضنا مهجورة.

(3)

ضم الفارس الوردة الثانية إلى صدره فأحس بها ثقلة فقرأ مكتوبا على صفحة الورد البنفسجية: "إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض" فدمعت عيناه وفاضتا حتى غدا وجهه الباسم أكثر نورا!!! وبدت وجوه

أخرى كثيرة قاتمة السواد، قال للوردة: من هؤلاء؟ قالت: "إن الله لا يصلاح عمل المفسدين".

(4)

نظر الفارس إلى المرأة فرأى ما لم يكن يراه من قبل: رأى مكتوباً أمام ناظريه على صفحة قمر جميل ناصع البياض لم ير أنصع منه - يأتي نحوه من قلب المرأة الشامخة كطود عظيم أمامه " ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً".

(5)

أنمسك القمر بيديه، ضمه إلى صدره، وشوشة القمر وقال "أنا لك ولكن بحقي" وما حفك يا نور القلب قال القمر مبتسماً "أن تحب القدس أبداً!!!!" أقسم الفارس وكيف لا وأنا أحبها قال القمر: هل بذلك من أجلها وردة ذابت منذ قليل في دمك؟؟؟؟.

(6)

حمل الفارس القمر بين أنامله وسار في طريق طويل تحفه أشجار وورود وأشواك، لهث، وكادت تنقطع أنفاسه، تذكر الوردة الذائبة في دمه!!

(7)

أخرج الوردة واشتم طيبها وفتح عينيه ونظر حوله فوجد نفسه يصلي في القدس وببيده كتاب من نور وطيب وريحان نادته أمه قم يا ولدي هذا بلال يؤذن للفجر حمل القدس في قلبه وورديتين وسار نحو الله.

اللهم أنصرنا على الحمير

مدینتنا الجميلة: مواكب الغجر فيها لا تتوقف عن الهاتف في وديان النور
والندى وكل الأرواح المكسوة بعقب الزهور تعانق ثلاثة من الأولين الذين
كتبا بمداد الدم المقدس أجمل قصة لأجمل وطن وأجمل سماء.
لم يستيقظ هاني بعد من نومه لكنه يشعر بشيء كالحلم يساور اللب فيه،
ينظر حوله فتراءى له أحلام وأرحام تصعد من الأرض نحو السماء
وأخرى تهبط من السماء نحو الأرض يوقدها النور الموقود من ريح
الطيب المقدس وكلها تسأل بحرارة الانتماء والاتصال بكاف الشري
ونقول:

من يوقد الشموع في ساحات الوجه المتقدمة نحو العاصمة؟؟؟
رفع هاني سبابته نحو القمر ونادي:
كيف هذا النور المتألق في ذرات قلوب العاشقين الثرى ثم يقولون إن
بالأرض من يفسدون!!!!

تتکالب عليه کائنات من کل حدب و صوب وبمقامع من حديد تعقل الحلم
وتکبل يديه وتقدمه لمحكمة الأحلام، وقضاء السلطان يحكمون بإعدام
الحلم والحالم في سكون من الكائنات التي تتنفس زورا بخبر السلطان
صرخ الحلم والأغلال مغروسة في يديه:
اللهم انصرنا على اليهود والحمير !!!!

حضرن الوسادة

فغرت المدينة فاها الواقع في الركن الغربي منها، تعودت أن تبلغ بين أحشائها كل يوم شيخاً أو شيخين أو شاباً قضى في حادث سير مروع على الطريق السريع الوحيد الذي يربط رئتي المدينة، وتمضي المدينة بقية وقتها وهي تمسك مسبحة المائة حبة وتتجوب الشوارع جيئة وذهاباً يلعب الأطفال فيها طوال النهار وجاء من الليل حتى تنتابه أصواتهم رهقاً...

ياً وون متاخرين إلى أحضان وسائلهم مستغرين في نوم كان عليهم تقلا ثقيلاً فلا يصحون إلا على أشعة الشمس تدك عيونهم الوردية بقابل من ضوء عنيف... يقفزون نحو شنط المدارس ويرتدون ملابسهم الرثة أو الجديدة وتبنيك الأحذية البالية... يتوجهون نحو قاعات الدرس مسرعين وما زال عيونهم وأفondتهم بقايا نعاس تراوح المكان وتراوغ الأ بصار. يقرأ المدرس "إنا أنزلناه في ليلة القدر" ويردد الصبية خلفه بكل ما أوتوا من صوت "إنا أنزلناه في" ويفيض دمهم ولحمهم قطعاً فوق الأرض وعلى مقاعد الدرس... ويبتلع صوت القنابل بقية آيات ليلة القدر... وتصعد أعمدة من نور نحو السماء...

وتتأهب المدينة لتحضرن كوكبة جديدة من الزهور في ركناها الغربي وتطاير في أعلى السماء حبات المسبحة من نوى الزيتون المقدس لترتوي بدم الورد وينمو الزيتون نوراً نحو العرش في حواصل طير خضر.

مومسات

حط بعيونه الزرقاء وشعره الأشقر من عفن حضارة عوراء بين بقايا
أشلاء من قومه فوق الأرض يمشون وفي البحر يبحرون وفي السماء
يطيرون، نظر في روحه الخاوية فملأها إيمانا بخالق الأرض والبحر
والسماء،

جاوبته سورة الروم وسورة الإسراء، فتهلل ضاحكا رافعا صوته نحو
السماء: أشهد أن الله ربى وسيدي محمداًنبي، أحب الله والناس والكون
وما تخلف، لم تشفع له العيون الزرقاء أن يحملوه مقيدا مكلا بسلاسل
من حقد قاتل، يحط به قاتلواه في "جوانتنامو" ولا يرحمون، يرفع يديه
نحو الله ويصرخ!!

تسمعه آلهة حضارتهم فتضحك وتتسكر حتى النخاع جذلانة يقولون:
قد يكون اشتاق للهو معهن ..

أمطروه بمومسات من معاقل الحضارة، فهم بهنّ وهمن به،
"يوسف أعرض عن هذا" ...

تهمة القمر

سأل الموج القمر في منتصف شهر هجري:

- هل حقيقة أنك تهدد البحر بمد وجزر
- يا إلهي ومن قال لك ذلك ؟؟؟
- العلم الحديث
- آلهة العصر إذن !!!

دعني أسألك سؤالاً قال القمر للموج:

- ومن يهدد الإنسان بالأعاصير؟

- البحر وربما الريح، والعلم الحديث يقول إنه الاحتباس الحراري
الناشئ عن التلوث !!

نظر الموج في وجه القمر وقال:

- لكنك جميل رائع الجمال فكيف يتهمونك؟؟؟

- وهل أجمل من زرقة عينيك يا هذا الموج !!!

- هل تعرف شاطئ غزة أيها الرائع؟

- نعم سيدى.

- من هنالك زرع الموج دماء أطفال في روعة الزهر !!!

لا سيدتي كلهم شرفاء

- قالت قطرة المطر مبتسمة لأنتها و هما تهبطان مسرعنين من السماء:
- أين المستقر؟
 - قبر طفلة استشهدت في غزة لأنستم بمسك روحها الذي يملأ الأرض عبيرا.
 - ومن قتلها؟؟؟
 - صهيوني حاقد.

قالت القطرة الأخرى:

- وأنت سيدتي إلى أين تتجهين؟؟؟

- أجبت الدموع بعينيها:
- نحو قبر شهيد بأknife بيت المقدس " وضعوا" له السم في الطعام في شهر رمضان الكريم.
 - يا إلهي ومن وضع السم له؟
 - لم تظهر نتائج التحقيق بعد؟
 - هل شكلوا له لجنة دولية؟
 - لا.
 - هل يرتابون بأحد من القتلة؟؟؟
 - لا سيدتي كلهم شرفاء !!!

نفق العرائس

خطبها أحمد منذ سنوات خمس، وما زال يرسم صورتها كل يوم في قلبه
آلاف المرات... ينتظر أن يفتح "المعبر" وتسمح دولة "صهيون" لخطيبته
"رانية" بعبور قنطرة الحياة ...

انتظر عاماً بعد عام وسماكيين العدا تسلخ جلده ألف مرة كل يوم.
يذهب نحو "السلك" يصرخ ولا أحد يسمع... يشتري شريحة "جوال"
مصرية ويهانقها مئة مرة في اليوم والليلة
يسرع عند المغيب نحو النوم ليحلم
يحلم بها وتحلم به لكن لا حول لهما ولا قوة في اللقاء
يقطف بعضاً من أوراق النعناع والريحان ويطيرها نحو حدود مصر
يمسك البلايل ورقة نعناع بمنقاره ويطير بها فوق الحدود
يحط البلايل على حبل غسيل في وسط بيتها "رانية"
يغرد فتصحو "رانية" وتستمع لأنغنتيه
تمسك ورقة النعناع وتصنع بها شايا وتنظر بالز عتر
يهانقها "أحمد" النفق جاهز... تحمل كأس الشاي المنعنع بيدها
تسرع نحو النفق... بلا حفل ولا وداع
هي الآن في أرض الرباط
البلايل في غزة هاشم تطلق زغاريد العرس
تجمع درراً من لآلئ الندى
وتقدمها "نقطة" على رأس "رانية"

الريح عارية

زعمت الريح أنها سوف تصعد نحو الشمس لتطفئها
ضحك الشمس وقالت: عجبي
غضبت الريح فهاجت وماجت وصعدت وهبطت وثارت ومارت
ضحك الشمس وقالت: وهل يعلو فوق العين الحاجبُ
فتحت الريح عينيها ونظرت نحو الشمس
حدقت الشمس في عين الريح
أصاب الريح في العينين عمى
قال القمر: سمعا وطاعة يا أمي

دموع قلم

أمسكت عائشة القلم لنكتب رسالة لأبيها القابع خلف القضبان، سالت
دموعها فوق القلم جداول، سارت الدموع بطيئة كما سني السجن،
وصلت دموعها إلى رأس القلم فعانت دموعه، اختلطت الدموع بالدموع،
نظرت عائشة إلى الدمع والدموع يلتقيان على الورق في وجد وشوق،
قالت: لماذا يبكي القلم؟؟؟
قال: حزنا على أبي

كتبت:

أبي أكتب إليك بدموعي والقلم
ما زلت أذكرك يا أبي تحملني وردة مفتوحة
يوم غادرتنا مكلا بالفيود وعمرى لم يتجاوز الشهرين
أبكي ولا أدرى لم؟
أذكرك وأنت تطبع على وجنتي أجمل القبلات كما القمر يعانق الشجر
تسرقها- القبلة- من الأوغاد والقيد في معصميك وأبكي
أذكرك وأنت تشم أنفاسى تخرج من نار صدري المتوج
أذكرك ودموعك تتتساقط على وجهي بردا وسلاما
أذكرك وأنت ترفع يديك المكبلتين ونقول لي بشموخك الأبدي:
إلى اللقاء...

سأعود يا عانسة غداً سأعود

أبي

لقد بلغتاليوم من عمرى العاشرة... كم بقى لك يا أبي من السنين حتى تخرج وتعانقى مرة أخرى مئة سنة، مئتان خمسة... يا إلهي حكموك ألف سنة إلا ثلاثين عاما... من يتحمل سوى جبالك الرواسى هذا

الظلم

أبي..

ولا يزال عبق العرق المنتاثر من جبينك يملأ المكان وفراشي ووسادتي الصغيرة ... كل هداياك ما زالت بين يدي..

أثتمها بشفتي... أضمها إلى صدري الملتهب أحضنها، أذوب فيها، تصهرني، أصهرها

أبي

لقد دخلت المدرسة وتعلمت الكتابة القراءة ... وتعلمت حب الأقصى والقدس وفلسطين، وتعلمت حبك وحب أمي وحب الأرض وحب المقاتل..

أبي

أنا هنا في انتظارك

وإن لم تأت فسوف آتيك زحفا

وإن لم نلتقي هنا

فلقاونا هناك في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

العيون العسلية

رفعت صوتها نحو الشمس، نفخت روها كانت تخبئ في جسدها الغض
الطري، صرخت في الشمس بأعلى ما تملك من مكبرات الصوت الساكنة
في حجرتها، استجابت لها كل الحناجر العيون والأذان وهتفت:

- كلنا فداوك يا أقصى

برغم أن "أسماء" لم تزل في ربيعها الثامن إلا أن العيون أخذت تهتف
وراءها دموعا ساخنة، الأرواح تصلي في الملوك الأعلى، ما هذه
الآلاف المؤلفة التي تحمل أرواحها وتغدو بها إلى السماء تعلن شوقها
إلى الجنان:

يا إلهي من هؤلاء الفتيات اللينات الجميلات الرائعات ذوات العيون
المتوقدة تعاند الشمس في عز ظهيرتها ولهبها واحترافها ونيرانها
القاذفة، كيف تستحمل هذه العيون العسلية والبنية والزرقاء والخضراء أن
تصمد ساعات في حر الدم العربي المسفوك، والأمة لم تزل في سباتها لا
تحرك ساكنا أو تغير واقعا، وجيوش هامدة خامدة تحمي كراسى من
ورق مهترئ يتنازعون عليها ويقلدون بكل أنواع المذلة لحفظها عليها،

يا إلهي، تهتف الشمس معهم، تستجيب لهم، تصعد "أسماء" نحو الشمس
على جناحيها الطويلين يمتدان ضفيرتين ترفرنان بين الغيوم، تتجاوز
غيومات قليلات كن يحجبن الشمس عن آلاف العيون الرائعة التي لم
تتجاوز الثامنة من عمرها، وهي تسكب دموعا ورحيقا، تجمعه الفراشات

الطايرة في السماء، تعود به وتسقي أرواح الشهداء الذين قضوا في
رحاب الأقصى وما حوله،

عادت أسماء في يدها الآلاف من حبات زيتون الشمس، والزيتونات ترثى
سورة الإسراء، نظرت كل العيون إلى جيش الزيتون القائم من قلب
الشمس، اصطفت الزهارات والفراشات اليانعات صفا طويلا كالبنيان
المرصوص، حطت أسماء على الأرض الطيبة، أعطت الفراشات
والغزاليات والزهارات حبات من زيتون، أضاءت حبات الزيتون
المباركات لهن الطريق نحو مسجدهن الأقصى:
قالت أسماء: أين الأسلحة التي بالعليها الصدأ؟؟؟

أشلاء عروسين

في بيوت نطائر أشلاؤها وذنبها الوحيد أنها تقاتل وتعشق الحرية
وتحب الهواء وتغنى وتتشدّد أسماء الشهداء
كل صباح وكل مساء، وتنتظر الفجر القادم، والأرانب البرية والعصافير
والفراشات تسكن جنبا إلى جنب مع الورود والزهور.
ولم يكن أحد يعلم أن الموت كان يسكن هناك عند جنازير الدبابة الكريهة
التي تم خرطومها البشع كل حين وفي كل اتجاه، وبقبتها الخبيث تقدم
صناعة الموت والهدم والقهر، وسلوى البريئة تحفظ دروس الغد، وتسبح
بعيداً وت بكى إذا ما نفث الخرطوم البشع حقده وناره وحديده المصهور
والصاهر:

- يا إلهي من يتحمل هذه النار، تذكر زميلتها ابتسام وكيف أضحي
رأسها أثراً بعد عين، وقد جمعوا بقاياه على مدى أسبوعين كاملين،
ودفعوا جسدها الغض عشر مرات، احتضنت قطع الحلوى الصغيرة
وببيضة مسلوقة، أعطتها إياها جنتها لأمها كي تأخذها معها إلى المدرسة
في الصباح وتطعم صديقاتها، وتقطر على البيضة المسلوقة وقد رشتها
بالزرع الشهي:

- سأطعع صديقائي من الحلوى وأقسم البيضة عليهم جميعاً، أشتئي هذه
البيضة وزعترها وزيت الزيتون، متى يأتي الصباح، لأكلها وأفرح بها
وتفرح زميلاتي، سوف أكلها في الطريق إلى المدرسة، لا... سوف
أنأكلها في المدرسة وسوف أعطي معلمتي منها، فهي تحبني وأنا أحبه،

وضعت ابتسام الحلوى والبيضة بجانب الوسادة، نظرت إليها، شمت رائحتها، أشتهتها، احتضنتها، غفت الفراشة الصغيرة، سبحث مع الملائكة في طهر وبراءة، حملتها الفراشة على جناحيها نحو القمر، نظرت من هناك، رأيت الأرض صغيرة وجميلة ورائعة.

قالت للملائكة: دعوني أنظر إلى بيتي في مخيم رفح.
نظرت، رأت الخرطوم البشع يصب ناره على بيتها الصغير.

صرخت بأعلى صوتها، لا لا ... لا تحرقوه هنا تسكن أمي وأبى وإخوتي وأخواتي، هنا قطع الحلوى والبيضة المسلوقة، أريد أن أطعم معلمتي وصديقاتي، لا لا ...

فاطمة

استيقظت من نومها وأشعة الشمس المتسللة من شقوق النافذة تتخلل
خصلات شعرها المسترسلة على الجبين والخددين، وتداعب عينيها
الحضراويين بنوع من المزاح التقليل الذي لا تحبه.

أدارت وجهها ذات الشمال، سحبت الغطاء لتواتري عينيها قليلاً، لعلها
تنال قسطاً آخر يسيراً من النوم الذي تشقق إليه، فعيناها لم يغمض لهما
جفن منذ أيام مضت، ولا تنال صورة أخيها الذي قضى نحبه شهيداً لا
تفارقها عقلاً وروحاً، يقطنة ومناماً، وجهه المشع نوراً، عيناه تتجهان إلى
السماء، ابتسامته التي تأخذ الألباب، وجنته الورديتان ترثنهما حمرة دمه
الذي لم يجف وقد مضى على استشهاده يوم كامل، جسده التحيل الذي لم
يزل يحتفظ بحرارته كما هي، رائحة المسك التي تفوح من جروحيه
العديدة في الصدر والكتف الأيمن وقدمه اليسرى، جبينه الذي لا تنال
درر من العرق ترثنه وكأنه الياقوت، الآلاف من الأهل والأقارب
والأبعد والجيران الذين جاؤوا من أماكن عديدة وقريبة ليودعوا
هذا الجيل الأشم الذي دوخ العدا وأذاقهم الوييلات كأساً تلو كأس وبلا
هواة.

تنصت بربيعها العاشر إلى القصص والحكايا التي يذكرها المودعون
والملقبون للوردة المساجة في ساحة الدار، يختلسون بعضًا من دمه الفواح
والمناسب من جسده كي يحقظوا بها أبداً ما داموا على قيد الحياة

وليتبركوا منها.

- يا إلهي ما الذي يجري هنا، من هؤلاء؟؟؟ ولماذا جاؤوا؟؟؟ أكل هؤلاء يعرفون بلال؟؟؟ أكل هؤلاء جاؤوا يقدمون له آيات الاحترام والتقدير والتبجيل؟؟؟ ليتاك يا بلال تكون حياً لترى هذه الأموال المهدرة من البشر وهم يتنافسون من يقبلك؟؟؟ ومن يحمل جسدك لحظات؟؟؟ وتهتف حناجرهم باسمك؟؟؟ ليت وليت وليت.

يوقظها من حلمها الوردي ضجيج دبابات الحاقدين، ترفع رأسها، تتجه نحو شباك غرفتها، ومن بين شفوفه ترى عشرات الجنود المدججين بالسلاح، ومكبرات الصوت تصرخ، أخرجوا ستنسف البيت على ما فيه!!! تخرج إلى ساحة البيت، تجد أمها باكية وتقول: حسبي الله ونعم الوكيل ودموعها تجري على وجنتيها أنها.

تتوجه إليها، تحضنها، وتقول:

- لا تجزعي يا أماه!!! أليس هذا في سبيل الله والوطن؟

- نعم يا ابنتي - وتضمها إلى صدرها.

- هيأ بنا نخرج يا أماه قبل أن يفعلها الأوغاد.

تخرجان إلى الشارع، يحيط بهما الجنود من كل جانب.

- هل بقي أحد في البيت؟

تحبيب فاطمة:

- نعم، بقى دفاتري وملابسني وعروستي الصغيرة.

يضغط الجندي على زر التفجير.. تصرخ فاطمة... تصدق في

وجهه ... يطلق النار عليها... تصافح روحها روح بلال... ويجري
دمهما في ساح الوطن
تلقي أمها بنفسها على الأرض إلى جوار ورثتها المسجاة وتصرخ:
- وإسلاماه... واعرباه

أحبهم يا أمي

كلما جن المساء خلا خليل إلى نفسه في غرفته المسقوفة بصفح لا يقيه
برد الشتاء ولا حر الصيف، وعلى ضوء شمعة صغيرة اعتاد أن يقلب
دفاتره، ويحل واجباته ويحضر دروس الغد، تفاجئه أمه أحياناً فتدخل
عليه صومعته الصغيرة التي لا يتتجاوز بعدها أمتاراً ثلاثة في مترين،
يتخذها مأوى لهما في زمن عز فيه النصير، وما إن تدخل حتى يرتكب
خليل أحياناً ويحاول إخفاء بعض كتبه وأوراقه ودفاتره، يساور الأم
شك!!!!

- ماذا يا ترى تحتوي هذه الورقفات والدفاتر التي يحاول صاحب الأعوام
العشرة إخفاءها !!!؟؟؟
تسأل الأم نفسها ولا مجيب... تظاهر أنها لا ترى شيئاً وتدخل عليه
ضاحكة باسمة:

- هل أعد حبيبي دروس الغد؟؟؟
- نعم يا أماه، وكل شيء جاهز، لماذا لم تحضرني معك الخبز و
الزعتر؟! كل يوم خبز و زعتر... خبز و زعتر..
تضحك وتطبع على وجهيه الورديتين أجمل القبل، ولا تنسى أن تتوهج
هذا كله بقبلة على الجبين، تذكر أباه الذي قضى شهيداً في مخيم رفح قبل
عام وهو يقاوم:

- لماذا تسيل دموعك يا أمي؟

- لأنني أحبك

- هل تذكرين أبي؟

تمسح الدموع وتقول:

- أين الدموع يا شقي

يرتقي على صدرها، ويرشف وجنتيها بمسانده وشفتيه، ويقول:

- هذا هو مذاق الدموع يا أمي، أنا رجل البيت، لا تحزني يا أماه، أبي حي في جنان الله يرزق، أنا رجل، لا تتقين في ???

تنام إلى جانبه، تحضنه، وتقرأ بعضا من آيات القرآن، يقول لها:

- اقرئي يا أماه آيات الشهادة وسورة الإسراء

يغفوان قليلا، يأتي الشهيد إليهما، يمسح على رأسيهما ويفادر، يصرخ خليل:

- أبي، لا تذهب، أريدك يا أبي أن تبقى عندنا
تنبئه الأم وتقول:

- وهل رأيت أباك أيضا يا حبيبي!!!

ويلتصق خليل بحضن أمه باكيا، وتسيل دموعه على خديه، وتنسرب إلى شفتيه، ينظر إلى أمه ويقول:

- إن مذاقها كمذاق دموعك قبل قليل، كيف تقولين لي إنها ليست دموعا!!!

يغمض خليل عينيه ويحاول النوم، وتنستمر الأم في قراءة ما حفظت من آيات كريمات، حتى نام الفتى الرشيق الجميل بين يديها وفي حضنها،

تعلمت قليلاً، وتناولت حقيبة المدرسة، ففتحتها، تناولت دفاتره واحداً واحداً، اشرح صدرها لتفوقة، وتمتنع بأدعية كثيرة، فتحت الدفتر الأخير، وجده مليئاً بصور الشهداء، وقد كتب خليل تحت كل صورة عبارات محبة وعشق ... هنا فتح خليل عينيه وقال:

أهذا ألبوم الشهداء يا أمي؟

نعم يا ولدي

- متى أعددت هذا يا كبدي؟؟ ومن أين لك هذه الصور؟؟

- طوال العام يا أمي، وأشتري الصور من مصروفي اليومي !!

- ولماذا يا ولدي ؟؟؟

- لأنني أحبهم يا أمي.

كيف أثال رضا أمي؟

يبينما كان القمر يرسم صورة الشهداء الفواحة مسكا على صفحته الرفراقة. كان أخي محمد يرسم بدمه قبة الصخرة وماذن القدس على حبات الثرى ويسقي الأوغاد نارا من سجيل أوقتها في قلبه دماء الرضيعة إيمان حجو وقدنفة دبابة تغوص في ظهرها الغض.

كانت أمي في هذا الوقت ترفع رأسها ويديها إلى السماء، يا رب انصر
محمدما واجعله ينتقم لكل الدماء المهدورة التي لم تحس بها دبابات أكلها
الصداً وأسلحة ماتت في أيدي حاملتها من جوش جراره.

كنت دوماً أجاً إلى ربيع حضنها وأنام بين زهور أناملها، وهي - أمي -
تمطرني بدعواتها والقبل، يا إلهي، ما أجمل الحضن الذي وسع الوطن
كله، دافئ كثوب قطن، ناعم كحرير، حلو كالعسل، يا إلهي!!! من أين
أدت أمي بكل هذا الجمال؟؟؟؟

عجبت لقبها الكبير كالبحر والذي يكاد يسع الأرض بما حوت، وهي تندع بروعتها أخي الشهيد مطلقة زغاريد الفرح وأعراس الوطن ورشات من زهور الياسمين والرياحين، وما كنت يوماً لأصدق أن الأم تندع ابنها بمثل ذلك لو لا أن علمتني أمي درساً حياً.

بعد استشهاده بلحظات استحضرت في نفسي كيف سوف أواسي أمي وما هي الوسائل والطرق التي سوف أسلكها معها في محاولتي لتخفيض هول المصاب بفقدانها - محمد - أحبنا نحن الأبناء الخمسة إليها.

دلفت إلى البيت وقلبي يدق وتکاد دموعي تتساقط على الوجنتين حزنا عليه لكنني حبستها بصعوبة، توجهت إليها، وحولها عشرات من القربيات والجارات يستمعن إليها وهي تحدثهن كيف جاءها محمد قبيل استشهاده يطلب رضاها ويودعها:

- ضممته إلى صدرى، تذكرت يوم كان رضيعا وهو يغفو بين يدي، والله لقد كان بالأمس بين يدي غافيا على صدرى أخف وأجمل منه يوم كان رضيعا، أحسست وأننا أقبله كأنى أصبح في جنات عرضها السموات والأرض، لم أكن في هذه الدنيا، لقد كنت هناك، أطوف بين قصور الشهداء والرسل والأنبياء، وضع أحد الشهداء يده على رأسي وقال: أترغبين لمن هذا القصر؟؟ قلت: لا، قال هو لمحمد سيس肯ه في الغد، قلت وأنا أين قصري، قال ذاك وأمسكتي من يدي وسار بي في روضات ليس كمثلها روضات، أدخلني قسرا من لؤلؤ وياقوت ومرجان يفوق قصر محمد آلاف المرات، وقال: هذا لك، وصحوت من إغفاءة داهمتى، محمد ما زال يقبل يدي ويلثم الخدين.

يا إلهي من هذه؟؟ أهي أمي التي كانت بالأمس تخاف علي من نسمات الريحان، لا شك أنني أنا الذي في حاجة إلى من يواسيني، استجمعت كل

قواي، دخلت الصالة، انحنىت عليها، قبلت يديها وخدیها، نظرت إلى رابطة الجأش راسخة العقل سديدة الفكر، بادلتهي القبل، أجلسستي إلى جانبها وهمست في أذني:

- كن رجلا مثل أخيك محمد

سالت دموعي على وجهي وهي التي طالما حبستها

- هل أنت راضية عنني يا أمي كما رضيت عن محمد؟؟؟
اسمع يا ولدي لن أرضي عنك أبدا حتى تسلك درب أخيك.

الشهيد القاًدِم

وصل خالد إلى مدرسته في اليوم الأول من السنة الدراسية، جلس في المقدّس الثالث، وضع حقيبته البالية إلى جانبه، ينتظّر أن يأتيه مربّي الفصل ككلّ عام يطلب منه رسوم المدرسة، وهو لا يعرف بعد، كيف أُومن أين سيحصل عليهما، لقد مضت على أبيه عدّة أعوام وهو عاطل عن العمل، ينتظر بفارغ الصبر كوبونا من هنا أو هناك لا يسدّ من الرمق إلا القليل... يفكّر بجد ويقول لنفسه:

- اترك المدرسة يا فتى واعمل في ورشة أو مطعم
- ومن سيهتم بأمك وأبيك وإخوتك الصغار غدا؟؟؟
- وهل تنتظر الحياة حتى يكبر إخوتك؟؟؟
- ربما تستشهد أيها الشقي مثل أصحابك الذين سبقوك؟؟؟
- وهل هذا الوجه وجه شهيد؟؟؟
- نعم إنه يبدو كذلك، لقد حدقت به كثيراً في المرأة!! إنه تماماً يشبه وجه محمد الراة!!!
- بل الشهداء يختارهم الله، كالأنبياء تماماً
- ولماذا لا يختارك الله منهم؟
- أوّه لا تحلم أكثر أيها العفريت الصغير دع الأمور.

وبينما هو كذلك، لفت نظره الخرابيش الكثيرة التي تملأ المقدّع، أخذ يدقق في بعضها، علم فلسطين يزين المقدّع ويرتفع شاهقاً في سماء القلب، قرأ "فلسطين وردة حمراء لا يرويها إلا دم الشهداء"، "فلسطين عربية حرة" ، "القدس لنا" وشعارات أخرى كثيرة يحفظها لكنه من كثرة الخرابيش لا يستطيع أن يقرأها وها هو يحاول فك أغذارها، برغم صغر سنه إلا أن شريطاً طويلاً مر في مخيلته فلسطين... القدس... الفالوجة... المقاومة... الشهداء... الدم... الجرح... المستشفى... المسجد... الصلاة على الشهداء... جنين... بيت حانون... رفح... المسجد الأقصى... كنيسة القيامة... القسام... الحسيني... أحمد ياسين... عبد العزيز الرنتissi... يحيى عياش... صلاح شحادة... ثابت ثابت... جمال عبد الرازق، وهنا أخرج دفتره الجديد ليكتب اسمه عليه... أمسك دفتر الحساب وكتب .

هنا دخل المدرس الفصل، شرح درساً جديداً في الحساب "مقاييس الرسم" وأخذ يعطي أمثلة متعددة، ورسخت في ذهن التلاميذ عبارة "المسافة على الأرض كذا والمسافة على الخريطة كذا" سرح خالد في ما يشرح الأستاذ... يا إلهي حتى هنا وفي درس الحساب الأرض والخريطة وطول سارية العلم وظل العلم وارتفاع شجرة الزيتون وشجرة اللوز ونابلس وجنين والخليل؟ ثم طلب المدرس من التلاميذ حل المسألة التالية: "أنت تسكن في رفح وتريد الصلاة في المسجد الأقصى، احسب المسافة الحقيقية بين رفح والقدس معتمداً على الخريطة المبينة في الشكل".

أنهى خالد حل المسألة الحسابية بسرعة خاطفة، توجه نحو المدرس للتصحيح، بدت على المدرس علامات الدهشة وهو يسير مع الحل خطوة خطوة، ولكنه يقرأ في نهاية الحل:

"المسافة بين رفح وبين القدس ألف حاجز وحاجز"

و"المسافة بيننا وبين القدس ألف ألف قسام"

و"هي حياة طويلة، إن لم نقض شهاء"

رفع المدرس عينيه، نظر للللميذ وقال:

رائع، ما اسمك يا فتى؟؟؟

يتلعثم الفتى قبيل الإجابة، لا ينتظر المدرس الإجابة، يقلب الدفتر المدرسي ويقرأ، لكن ترداد دهشته حينما يجد مكتوبا على طابع الغلاف:

اسم الطالب: الشهيد بإذن الله خالد محمد عبد الله

أسم المدرسة: شهداء مجررة رفح

الصف: القسام (4) وإن شاء الله العام القادم "القسام 5"

المادة: حساب الشهداء

جوانتنامو

توضأً قبيلَ الصبحِ بقطرتين من الندى هبتنا مع رذاذ القمر
يصلٰى ركعتين ناظراً إلى بيتِ اللهِ الذي يبعدُ عنه آلاف الأميال
ويدعُوا يا رب إلى متى؟؟؟؟؟
يقفُ على شباك غرفته المسقوفة بالنور
يركضُ في الهواء ويطيرُ وراء الطيورِ في السماء
يمسّكُها بكلتا يديه، يحبها، يقلّها، يدلّها، يدعها
يطلقها مرة أخرى في الكونِ ويقولُ لها:
اذهي وأطعّمي وأرضعي بنيك الصغار
يلهث، يجري، يستريح، يلقط بعضاً من أنفاس متلاحقة كموح البحر
يصرخُ بأعلى صوته، تسمعه كل الدنيا
 تستيقظُ أمها على صراخه
ماذا جرى لك يا ولدي؟
لماذا لا يطلق "بوش" سراح أبي؟؟؟؟؟
كما أطلقتُ أنا سراح العصافير البريئة!!!!
عقلك أكبر من عقله يمّه

خيالي في صدرك

(1) وضوء الورد

توضأت الوردة بعقب الندى
ووقفت على شاطئ القمر ونادت:
أسرعى أيتها الريح وأحملني على كفيك
 نحو الدم القاني
 في أرض يحملها الأطفالُ
 على الرموش ولا يتبعون
 في العيون ويضحكون...
 في القلوب ويبكون...
 كي أستريح هناك ...
 وأنظر بدمهم المتسامي مع نسمات البحر
 وروداً وياسمين...

(2) درر

هنا أيتها الريح الحبيبة
 حُّلي الرحال
 نظرتُ الريح إلى وجه الندى
 والدموعُ تتساقط درراً على الوجنتين
 ونحيبٌ كالغناء يملأ الكون الرحيب!!

قالت:

لِمَ الدُّمُوعُ وَلِمَ النَّحِيبُ يَا أَمَاهُ؟؟؟

(3) جواز جدي

الكون كله

براءة يجيب:

دموع الفرح والطهر أيتها الحبيبة

ونحيب ألحانٍ في مدینتي

ذلك التي علمتني جدي في الصغر

من هنا سأستخرج

جواز المرور

جواز السفر

(4) بذرة الشهيد

سألت الريح نسمات الفجر

إلى أين تتجهين

قالت:

إلى هناك حيث ترقد بذرة الشهيد تحتسي كأسا من شهد الأرض

(5) لم يولد بعد

رفع العصفور عينيه إلى السماء

رأى كأسا بيضاء على شاطئ الغيم

مد يده، حاول أن يمسكها

قالت:

لست لك،

أنا في انتظار طفل شهيد ما ولد بعد

(6) سلة البوص

قالت له أمه:

اذهب يا ولدي إلى بيارتنا واقطف سلة من برنفالات جميلة

قال:

أنا ذاهب لأملأ سلة البوص من عطر الشهداء

(7) خبيئي في صدرك

على طرف المخيم تسكن عصفورتان

الأولي طردت...

عشها في الدور العاشر من شجرة الجميز

الثانية قالت لجارتها الشنارة:

خبيئي بيضي في صدرك حتى أعود

وترقبان كل صباح أخبار فضائيات العرب

والشنارة تناديهما من وراء الجدار

أنا هنا برغم الحصار

والبيض في صدري ما غفا يا حمام

حورية

(1) سلام السماء

نزلت بلوحة المطر الطاهرة المطهرة
ترى فيها براءة الوليد الرضيع و أمه الثائرة
تبختر على سلام السماء الزرقاء تارة
وعلى البيضاء التارة الآخرة
المؤدية إلى كوكب الأقصى و النجمة القاهرة
تحمل بلوحة الماء في يدها الجميلة باقة ورد ملائكية يحار الجنان في
ألوانها الفازحة

تسالت البلوحة وهي ترقص بخفة ورشاقة إلى كل مسامات الأرض
وغسلتها من أدرانها فغدت الأرض كأنها سُقُفٌ مكونةً من فضة ماطرة
أبنت الأرض وردة جورية بألوان نعرفها وأخرى لا نعرفها
لها عبق الجنان الفواح يخلب الأفئدة التي بدمها للأرض ناطرة
نجمَّح حول الوردة الجورية آلاف العاشقين
في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين
قرؤوا بدموع الحب اسمها
فرأى بعضهم الحاء في رسماها غير منقوطة
ورأها البعض الآخر من أسفلها منقوطة

فاحترار القوم:

"أحورية" أم "جورية" ???

(2) المهد

من بين أنقاض البيوت المهدومة

والدماء المهدورة

والأنفس المقهورة

نما "صلاح" طفلا رضيعا

يمسك بيده يد الأرض الناصعة

يتنصل الرحيق من ثديها البارز قبة للأقصى الحرزين

بحار الجميع في أمره !!!

"كيف تكلمون من كان في المهد صبيا؟؟؟"

(3) مأمور

مشى الرضيع في طريق النور

يحمل الأرض وفي فيه ثدي من غيم جميل

مشى القوم على خطاه

قالوا جميعا:

"اتركوه فهو مأمور"

(4) عاشقة

وصل الرضيع إلى الوردة الباسقة

في كف الأرض طفلة عاشقة
قبلَها على الوجنتين والراحتين والجبين
رفع الثدي من فمه
وضعه في فمها
ابتسمتْ، رضعتْ، أخذتها سنةٌ من النوم
وقف العاشقون جمِيعاً وفي دهشة ينظرون
و"صلاح" يحنو على الوردة
كأم تضم ولیدها الأوحد إلى صدرها المكلوم

(5) الذباب

بعض ذبابات تحاول أن تحط على صدرها
"صلاح" يطرد الذبابات بيده الطريتين كحرير به تغفو فراشات الوطن
تحوم الذبابات في الوادي المقدس سادرة تائهة
يلاحقها العاشقون التائرون فلا يتركوا منها على الأرض باقية

(6) ابتسامة

يرجع العاشقون
سيوفهم يمشقون
والستارة بعد ما انزاحت
"صلاح" يحنو والوردة تنمو
يسألها العاشقون:
أحورية أنت أم جورية؟؟؟؟؟

"صلاح" يبتسم
لكنه بعد لم يضحك !!!

(7) الركام

ذبابات يuden حول الثرى
تنفتح الوردة من صدرها رحيقاً أسوداً
يصيد العاشقون بقايا العدا
تنساقط الذبابات ركامًا هامدا

خذوني معها

عاشرة كل أطفال الدنيا وورودها التي خلقها الله، تتوجه في الصباح ومع إطلالة الندى وشقشقة العصافير إلى مدرستها، تحمل شرطتها وأحلامها وأمالها ونصف رغيف من الخبز ، لها الحق في الحياة مثل كل شيء خلقه الله فأحسن صورته.

تصل الزهرة إلى باب مدرستها غربي مدينة خانيونس
تضع يدها الطريدة الندية في شنطتها
تتناول نصف الرغيف لتأكله
ترفع يدها إلى فمها

يطير الثلث الأعلى من دماغها بقذيفة دبابة توقف على بعد مئات الأمتار من مدرستها التابعة لوكالة غوث اللاجئين التي تشرف عليها هيئة امم بان کي مون

ينقلونها إلى المستشفى وهي في غيبوبة كاملة
يدخلونها إلى العناية المكثفة بمستشفى ناصر
ويبيّن فريق الأطباء قصارى جهدهم لإبقاءها على قيد الحياة
تمكث أربعين يوما على الحالة هذه، في اليوم الحادي والأربعين تفتح عينيها وتبتسم لأمها الرقادة إلى جانبها، تبكي أمها، وتعمر الدموع وجهها الحزين

يسألها طبيب جديد في المستشفى : أين أبوها ؟؟؟

- أستشهاد قبل إصابتها بشهر

- ستنقل عائشة اليوم إلى مستشفى الشفاء في مدينة غزة لإتمام علاجها

وستستطيعن اللحاق بها غدا

- ومن أين لي أجرة الطريق ؟؟؟ حسبي الله خذوني معها!!!!

عبد العرابة

ها هو العيد يقترب، يحمل في يد لبعض الناس أفراحا وفي يده الأخرى يحمل لبعض آخر أحزانا، أسماء ما زالت تذكر عيد الأضحى الماضي، يوم ذهب تبحث عن بعض عظم أو شحم أو لحم من هذا المحل أو ذاك حيث اعتادت محلات الجزارة أن تذبح الذبائح قبيل العيد بيوم أو يومين، يشتري من لا يستطيعون ذبح الأضاحي بعضا من لحم كي يسدوا به حاجة أطفالهم وبعض آخر يذهب ليبحث عن بقايا العظم والشحم التي يكون مالها إلى النفايات في كثير من الأحيان.

قالت لها أمها: لو تذهبين إلى جزارة الحاج علي وتأتين لإخونك الصغار ببقايا عظم وشحم فغداً عيد وكل عام وأنت بخير يا حبيبتي وقبلتها.

تدخل أسماء غرفة الصفيح الذي أكله الصدأ أكلاً تبحث عن مريلوها الذي تخبيه في حقيبة المدرسة آه، تقول في نفسها، أخجل أن اطلب من أحد شيئاً ليتنني مت قبل ذلك وكانت نسياً منسياً، لكنني لا أستطيع أن أعصي لأمي طلباً... رضاها خير من الدنيا وما فيها، ترى هل سيراني أحد وأنا ذاهبة!!! هل سيعطيني الجزار العظم أم سيقول لي بيعت الله، كما قال في المرة السابقة..

ألف سؤال وسؤال تشوش عقلها الصغير

غداً العيد، مريول المدرسة هو ثوبها الوحيد الجديد، تلبسه في غير موعد المدرسة، ملابسها الأخرى رثة ممزقة، لا يليق أن تلبسها في العيد،
سينظر إليها آخرون على أنها فقيرة

لا أنا لست فقيرة أنا غنية والغني بآلة وحده،
أذهب إلى هناك إلى منتصف الطريق؟
وأعود فأخبر أمي انه لا يوجد عظم هذا العام
لا لن أكذب عليها، سأمضي إلى هناك، س أحضر العظم واللحام كي تفرج
أممي، ويأكل إخوتي الصغار

أبي أين أنت يا أبي؟؟؟؟؟
لماذا تركتنا الآن؟؟؟؟؟
لماذا لا يخرجوك من السجن فتنبج لنا خروفاً جميلاً كما الناس
والجبان!!!

الشيخ حسن نصر الله وعندنا عدة مرات أن يخرجك من السجن؟؟؟؟؟
عزم عزام الجاسوس خرج من السجن وأنت لا تزال خلف القضبان؟؟؟؟؟
من سيخرج الشرفاء أمثالك؟؟؟؟؟
اشتقت إليك
خذني إلى صدرك الدافئ
عبئني في قلبك
ضمني بيديك

يا رب من يستجيب دعوتي سواك ؟؟؟
يا أيها الواقفون على عرفات قولوا : آمين

هل سيحضر أحد من الجيران اللحم لنا غداً ويرجعني من هذا كله ؟؟
هل صحيح أن بعض المسلمين يلقون الأضاحي في المزابل ؟؟
إلهي إلهي استجب لي أنقذني
آاه ه لو طلبت مني أمي أن أذهب غدا ربما أحد سيحمل إلى بيتنا لحم
العيد .

أبي هل أنت فرح بالعيد أم أنك حزين مثلي ؟؟؟
لا شك أنك حزين مثلي
حزين لأنك بعيد عنا
حزين لأنك في الأسر
حزين لأنك تعرف أننا لن نفرح في العيد
ولن نضحى
وتسلل دموعها على خديها
يوقظها من شواردها صوت أمها تناجي :
- هل لبست مريوط المدرسة يا أسماء ؟؟؟

من يحاكم البحر

في ردة فعل عاجلة على ما قام به إرهابيو تسونامي التابعة لمملكة البحر من غزو فظيع لجزء من بلدية العولمة، قرر رئيس البلدية إرسال فرقة استكشاف لحصر الأضرار الناتجة عن الجريمة النكراء وذلك من أجل تقدير الخسائر وتقديم المساعدات العاجلة للمتضررين أسوة بما فعله إثر ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر، حيث قام وكردة فعل سريعة بقتل عدة آلاف من الأطفال والنساء والشيوخ المجرمين الذين اعتقد أنهم كانوا السبب وأصدر أوامره أن على كل المجالس القروية والريفية ومجالس الحكم المحلي المنتشرة في كافة توابع البلدية استكثار ما حدث فوراً، حيث أصدر رئيس البلدية فرمانه الشهير أن "من ليس معنا فهو ضدنا" تداعى كافة الوجاهات والمخاتير وسائل الموظفين الصغار وأشباه الصغار إلى إصدار بياناتهم وإرسال قواتهم وتبرعاتهم لنيل رضا مولاهم رئيس البلدية.

أعلن رئيس البلدية أن ما قام به إرهابيو تسونامي المجرمون من خراب وتدمير وانتهاك لكل معايير حقوق الإنسان والحيوان والجماد يفوق كل تصور، فلم يحترم هؤلاء الإرهابيون حرمة البيوت؛ حيث قاموا بدخولها وترويع كل من فيها، وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ حتى الحيوانات والدواجن لم ترحمها هذه الفئة الضالة غير الآدمية، وقال إنه رأى حروباً كثيرة واحتياجات وتشريد وقتل وهدم ونسف بيوت، رأى ذلك في جنين

وبغداد والفلوجة وخانيونس وقندهار ورفح ونابلس والخليل وكربلاء والنجف وما حل بها من هلاك للبلاد والعباد، لكن ذلك كله تم بموافقة أهالي المذبوحين والمحروقين والمقطولين بطريقة حضارية وديمقراطية وإن كافة رؤساء المجالس القروية وال المحليات والمخاتير والمستشارين قد تمأخذ رأيهم وتوافقهم بالمواقفة الطوعية والاختيارية دونما أي نوع من الإكراه فبقاوهم في كراسיהם مرهون طبعاً بموافقاتهم.

أصدر رئيس البلدية فرمانا عاجلاً بضرورة حصار البحر واعتقال جميع إرهابي تسونامي المجرمين فرداً فرداً وتقديمهم للمحاكمة العاجلة العادلة وذلك حسب القوانين المعمول بها مع ضرورة استصدار قوانين طوارئ تتيح للبلدية اعتقال كل فرد شرب من ماء البحر أو سباح فيه أو أكل سمكاً منه أو استخدام ملحاً من ملحه أو ركب مركباً فيه أو نظر إليه أو أحب يوماً أن يذهب إليه أو يجلس على شاطئه أو حدثته نفسه أن يحبه وكل من له علاقة من قريب أو من بعيد أو حتى ذاك الذي تنفس يوماً نفساً أو اثنين من هواء البحر أو نسيمه أو رذاذه.

حاصروا البحر من كل جانب واتجاه، من الجو ومن البر، ألقوا عليه ملايين الأطنان من الصواريخ والقابض والثيران الموجهة بالليزر، نزحوا ملايين البراميل والأمتار المكعبية من مائه حتى صافت بهم أرضهم، جمعوا آلاف الأسماك والمحارات والقواقع والكائنات الأخرى في عربات نقل عسكرية ودبابات، سجنوه، نقلوه في طائرات إلى أماكن بعيدة، سجنوا الماء في زنازين صغيرة، قيدوه بالسلسل، نزعوا عنهم

ملابسهم، استهزؤوا بهم وبيحرهم، منعوهم من التبول أو التبرز إلا مرة واحدة في كل يوم أو اثنين، أطلقوا عليهم الكلاب البوليسية المدربة على عقر الأعضاء الجنسية للذكور والإإناث، مارسوا معهم الشذوذ بكلفة أنواعه، أجبروهم على ممارسة الشذوذ مع بعضهم البعض، بالوا عليهم، أطعموهم من برازهم، لفوه بعلم أعدائهم، حققوا معهم بكل الأساليب.

ما زال البحر ينظر إليهم بهدوئه المعتاد، موجه الجميل يغازل الرمل والنخيل والشجر، يقبل الشاطئ كعهده، يكظم غيظه، يكتم غضبه، يسقي الإنسان من مائه، يرسل له الأسماك والأملاح، ويصنع الغيم ويرسله إلى السماء، صبر طويلاً، انتظر أن يعود إليه أبناؤه وأحباوه، ولكن دون جدوى كان صرراخهم وألمهم وتذمّرهم يُورقه، لم يعرف النوم إليه سبيلاً، كيف أنام وأبنيائي في الأسر؟؟، لم يعرف الضحاك إلى شفتنيه طريقة كيف أضحك وفلذات الكبد مني ممزقة أيما تمزيق؟؟ كيف أذوق الطعام أو الشراب وعرائسي لا تجد ما تأكل أو تشرب؟؟ كيف وكيف وألف كيف من الأسئلة تُورق فؤاد البحر؟؟

طلبوا من الماء في الزنازين أن يرحل عن البحر عن أبيه عن وطنه. طلبوا من الأسماك والحيتان والواقع والمحارات ومخالف الكائنات أن تدلهم أين ينام البحر وأين يختبئ ومن أين يأكل ومن أين يشرب وأين يخفي أسلحته القاتلة، وأين يختنق الإلهابيون التسوناميون؟؟؟ ساوموهم نطق سراحكم نمتعكم والكروت الخضراء والجنس والجنسية والشقاوات وكل ما لذ وطاب في الحياة الدنيا لكم في الآخرة ما نشاء وما تشاوون لكم ملك خالص فقط دلونا عليه.

يقرر رئيس البلدية إجراء المحاكمة للبحر، ولم تنته التحقيقات بعد، الأحكام جاهزة، أعدها وزير العدل بتفقية عالية، قرر الرئيس إجراء المحاكمة في أماكن سرية للغاية واستخدام كل أساليب التمويه والخداع وذلك لتضليل الإرهابيين عن مكان المحاكمة، فقد يعرفون المكان ويقومون بعمليات إرهابية تؤدي إلى فشل المحاكمة وإخفاقها ناهيك عن أعمال القتل والتخييب، تقوم وكالة الفضاء التابعة للبلدية بوضع كافة سفن وصواريخ الفضاء والأقمار الاصطناعية تحت تصرف الرئيس، وتقوم وكالة الحروب الفضائية والنفوية بإعلان حالة الطوارئ القصوى ويتم تسليم الرئيس كافة المفاتيح والشفرات الخاصة بهذا النوع من الحروب وذلك لاستخدامها وقت الحاجة وعند الشعور بخطر داهم يهدد البلدية وأمنها وتتابعها المترامية في أنحاء شتى.

يتم تسريب العديد من الأخبار، بل المئات منها عن أماكن مختلفة حول المحاكمة وذلك في محاولة للتضليل، مئات بلآلاف من الأنفاق والمخابئ الموجودة تحت الأرض وفي الصحاري وفي الجبال وعلى أعماق تتجاوز أحياناً كيلومترین أو ثلاثة، كلها يتم إعدادها لحالات الطوارئ وإمكانية إجراء المحاكمة فيها، واستخدامها كمرآكز قيادة في حال تعرض البلدية لهجوم إرهابي من قبل البحر المترbccس بها شرا، يتم في أيام تطوير نظام اتصالات معقد، ويختلف عن النظم التقليدية الحديثة والمعاصرة، هذا النظام من أرقى الأنظمة ولا يمكن اكتشافه أو حل شفراته التي تعتبر غالية في التعقيد .

تم نشر عشرات من أشباء الرئيس في كل مكان، في المجتمعات عامة وسفر خارج البلدية وغير ذلك من أجل التمويه، أما الرئيس الحقيقي فقد

تم وضعه في كبسولة خاصة يحيط بها سبع كبسولات أخرى، بين كل كبسولة والأخرى عدة أبواب لا يمكن فتحها إلا باستخدام شفرات قمة في التعقيد، ويلمك الرئيس واحدة منها لا يعرفها أحد سواه ويستطيع تغييرها وقتما شاء، يجلس في الكبسولات الأخرى المحيطة العديد من الحراس والمساعدين والمستشارين والطباخين والسكرتارية والطواقم المساعدة الأخرى، بينما يجلس الرئيس وحده في مقصورته وتم إرسال هذه الكبسولة إلى داخل شبكة معقدة من الأنفاق تحت الأرض وتم وضع حراسات مكثفة في كل مكان فوق وتحت الأرض، وعلى نقاط الاتقاء داخل الأنفاق، وتم ربط ذلك كله بشبكة من الأقمار الصناعية التي تراقب كل الحركات والسكنات من خلال دوائر مغلقة، مربوطة مباشرة مع أزرار أوتوماتيكية لإطلاق الآلاف من الصواريخ النووية والجراثيمية والليزرية نحو أهداف ثابتة ومتعددة مرصودة تماما على مدار جزء من مليون من الثانية والتي يرجع الفضل في اكتشافها إلى احمد زويل.

تم نقل المعتقلين إلى المكان على دفعات متفرقة خشية تسرب أخبار عن عملية نقلهم، وتم استخدام طائرات وسيارات وشاحنات ومروريات ووسائل نقل أخرى معروفة وغير معروفة وذلك في عملية تمويه باللغة السرية لم يسبق لها مثيل على مدار التاريخ تم وضع كل معتقل منهم في ثلاثة أقسام مصنوعة من مواد تم تطويرها في مختبرات وزارة الدفاع والمخابرات وهي عبارة عن خليط من مواد طبيعية وتصنيعية تبلغ مقاومتها مائة ضعف مقاومة الحديد الصلب، ودرجة انصهارها تصل إلى حوالي عشرة آلاف درجة مئوية، إضافة إلى عدم قابليتها للكسر أو النشر وتم وضعهم في زنازين صغيرة تحت الأرض، حيث هناك دائرة مغلقة

تصل بين هذه الزنازين ومقصورة الرئيس المتواجدة في الكبسولات
السبع، تولى الرئيس بنفسه الإشراف على المحاكمة رغم إصداره تعليمات
مشددة للقضاة العسكريين بضرورة عدم التهاون إطلاقاً في إصدار
الأحكام المعدة سلفاً

جلس رئيس البلدية في كبسولته، يراقب وصول المجرمين من أبناء البحر
إلى قاعة المحكمة الضخمة التي أعدت خصيصاً لأشهر وأعقد محاكمات
في التاريخ، قال القضاة للمتهمين: إياكم والذب فالرئيس بملكته وملكته،
رئيس البر والبحر والجو يرصد كل الحركات والسكنات ويرافقنا والويل
لكل من يرفع صوته سواء منا أو منكم.

تم تشغيل موسيقى صاخبة وأنوار شديدة وحافتة، تنير الرعب حتى في
قلوب الذين يعرفون ما هيتها، بدأت الأرض تهتز مع الموسيقى والأفلاق
تنمايل، لم يعرف الرئيس القضاة والجيش شيئاً مما يجري، ظنوه ازدحام
الخيالات الصالحة، كان البحر يتقدم نحوهم لقد فاض الكيل به ، لم يعد
يتحمل كل هذا

زار البحر زئير غضبه واهتز القاع منه والماء
فاض الماء حتى اعتلى كل البلدية وتوابعها
وملاً الأنفاق في كل مكان

صرخ الرئيس
صرخوا جميعاً
أطبق البحر أنبيابه على فرعون

قبلة على خدها المرwoاني

(1) صلاة الغائب

كان يعيش في صحراء من الفقر المدقع ولا يهتم به أحد ، حينما استشهد مدافعا عن الشرف العربي أصبح نجم المكان المصيء في الليل والنهار
قالوا: ليته عاش حتى يحضر هذا التكريم لشهيد يسمو
قال آخر: لقد كرموه هناك قبل هنا !! هناك حيث لا هناك هناك
وفي أماكن أخرى غير بعيدة عنه
طاردوا صلاة الغائب على الشهيد فكانت تحت الحراب !!

(2) لن تدفنوه

احتشد الآلاف يشيعون كيسا من عظم ولحm الشهيد إلى قصره في الجنان
صرخ طفل بينهم بأعلى صوته:
- لقد دفنت الجسد وإنني لأرى نوره صاعدا نحو الغيم هذا مالا تستطيعون
دفنه أبدا ولا يراه إلا القليل

(3) الخ المرwoاني

قالت الأرض باسمة لوالد الشهيد بعد أن ووري جسده الثرى:
أندرى أن البذرة التي زرعت في رحمي

سوف تتبت سبعين ألف شهيد لميقات يوم الفصل الآتي !!

قبلها على خدتها المرواني وقال :

- أنا في انتظارهم جميعا في ظل زيتونة

(4) عنق

سألته زوجته: ماذا تحب أن أجهز لك اليوم؟؟؟

قال: كل ما تحبين

عاد، فوجد صورة ابنهما الشهيد وهو يلقي وصيته للدنيا، تتصدر البيت

تعانقا طويلا بالدموع

بعد تسعه أشهر كانت تضع ثلاثة أكمام و زهرتين

يسبحون مع الغمام في انتظار سورة الفتح و سورة النصر

(5) فم الدبابة

كان برينا جميلا طهورا هادئا رائعا كالندى

يحبه الأهل والجيران والأصحاب والأتراب حتى العدا

وجهه كقطعة من القمر ليلة البدر

كان جالسا يحفظ سورة الأنفال وسورة القدر

أخرجتهم الدبابات من البيت

لبس درعه وامتنق سلاحه وتغخ في ليلة صيف

قرر أن ينتزع حقه الضائع من فم الدبابة كالليث

(6) الزهر

سأل الطفل فنينة العطر الساحرة على مدخل الوطن:

لماذا يحبك العاشقون؟؟

قالت: لأن بي ماء الزهر

وسأله الطفل قبر الشهيد: لماذا يعشقك المحبون؟؟

قال: لأن بي روح الزهر

(7) أمل الحمير

نهق الحمار جوحاً بعد طول نوم وكسل

قدم له الراعي بعضاً من ماء وبضعة من تبن أمريكي

و شيئاً يقال عنه عسل

أكل الحمار، شرب، تبول، تبرز و لا عمل

نام الحمار فوق بوله والبراز

قال:

ما زال هناك أمل!

السما هي العنوان

سألت الأم طفلها الريان:

لماذا ن GAMMA كل ليلة فوق باقة من ورد وريحان؟؟؟

قال:

يوم استشهد صديقي عدنان

أدخلوه روضة من جنان

فوجدها مفروشة بباقيات من ورد وريحان

رأيته يومها في المنام

"أنا لست في الأرض بل السما هي العنوان"

عراء والألف قبلة

(1) نور وقلم

هدم صهبون بيوتهم الصفيحية الحزينة التي أشقاها الشتاء وملح البحر
لم يبق فيها ولا منها شيء وهي تتطاير على وقع من القهر
"حورية" تنداري عند المساء بين قطع من ركام وأفواج من أحلام الزهر
بiederها كتاب ودفتر وقلم
هو كل ما استطاعت أن تتجوّب من بين أنبياب الدهر

قالت لها أمها: اذهبي وأشعلي الشمعة من بيت حالك على أطراف المخيم
قالت: بل أنورها من قبر حبيبتي الشهيدة أسماء بنت صفي التي كانت
تشاركتني نفس المقعد
وتغرق عينها في بحر دموع

(2) مسک

طرقت "حورية" بيت الشهيدة أسماء الساكنة في المقبرة الغربية
غمست يدها في تراب قبرها ومرغت جسدها الندي في عطره الفواح
وضعت في دمها حفنة من التراب وكأسين من المسک المتسامي
أعطتها أسماء قمرا وقالت:

- أَعْطِ أَهْلَ الْمَخْيَمِ مِنْ هَذَا النُّورِ السَّاطِع

(3) أَلْفَ قَبْلَةٍ

حملت "حورية" القمر في يدها وأحسست كأنها تحمل الكون كله
قبلته من وجنتيه ألف قبلة ولم يرتو فمها الطري بعد
سالت دموعها على خديه فرفع يديه وداعب خصلات شعرها الراقصة
على جبينها
ضمته إلى صدرها وخبائنه في أعماق قلبها حتى لا يراه صهيبون
أطل القمر من عينيها البريتين العسليتين يفضح ما كانت تود أن تخفيه
همس القمر في آذان الأطفال الصغار الواقفين تحت المطر
والمرتعشة أجسادهم من لسعات البرد التي ما رحمت الوجنتين والأذنين
وبأيديهم سورة الإسراء يرتلونها ترتيلًا وقال:
- سيروا يا أحبابي خلفنا.

(4) مِقاوْمَةً

احتشد الأطفال ينشدون أناشيد الشهداء الذين مضوا حول "حورية"
وهي ترتدي حلقة من أنوار القمر الزاهية الباهية
وعطور "أسماء" تعشق الكون بكل ما فيه ومنها يولد الندى
تسير "حورية" كالغزاله وسط الركام والصفائح ورائحة الدخان والدم
والبارود
وزعت على كل واحد منهم قمرا ودرتين من لآلئ التراب
كي يقرأ دروسه ويحل الواجبات ويقاوم الاوغاد

(5) العراة

حمل كل طفل بيده قمراً جميلاً وسلة عنب وبلح وتين
قد مضت على أسرته الأيام الطوال في العراة
وهي تفترش الغبراء وتلتحف السماء
ولا تجد الماء ولا الغذاء
ولا الدواء ولا الكساء
بعد أن هدم صهيون ببيوتهم
خباوا الأقمار في دمهم والدرر في العروق
فصهيون يلاحقهم ويطارد منهم الأحلام و الحقوق

(6) الطعام

أطعم الأطفال الآباء والأمهات والإخوة والأصدقاء والجيران والعصافير
والفراشات
بقي الطعام كما هو وكأنما لم يأكل منه انس و لا جن
وزعوا منه على المخيم كله ولم ينقص منه شيء بعد
قالت "حورية" لأترابها:
- أطعموا كل الناس ورشوا ما تبقى من المسك على عرائس المجد.

(7) الفرار

امتلأت قلوب الأطفال نوراً وما عاد للدم فيها من نصيب

توضأ الأهل من النور ولم يعد للماء بين أيديهم من وجود
 جاء صهيون يحمل الحقد ويهدم بقية الصفيح العنيد
 لم يجدوا غير أنوارٍ تتلألأ في كل مكان بعيد كان أو قريب
 تصدت لهم "حورية" بأنوارها وقرنياتها والضفائر والعيون العسلية
 تدخل الأنوار المنطلقة من عيون الأطفال عيون العدا فتعميها
 ارتد صهيون و كانوا فر من قصورة فما عاد له من وجود

أثني قذرة

(1) بغداد

بينما كانت النسمات تداعب أشجار النخيل الراقصات في سماء جيش
المعتصم
وعيونها الخضراء تتلألأ في ماء النهر المسكوب على عرائس القمر
الباسمة
والندى يرخي أطيافه على أحزان الأرض كي تتوضأ من جديد
بشهد يفوح من دم الشهيد
وترتدي ماجدات الفرات أنوار النجوم وبراءة الأطفال العاشقين الثرى
وھن يقفن شامخات فوق منارات الصفاف
كما النخيل يرمى بقدائف الأوغاد فيؤتي شهيداً رضيا
وهُزِي أيتها المجاهدات الماجدات جذع النهر
يساقط عليكَ من غير معتصم مقاوِماً أليها

(2) الباستيل

وفي بطن النهر يرقُ باستيلهم الموعود
وأحشاؤه الحبل بديمقراطيتهم الخاطئة الكاذبة
فاطمة بنت الرشيد العفيفة الطاهرة
جردوها من ثيابها الساترة

تفترشُ الأرضَ عريانةً خامدةٌ
 ما عادَ في صدرِها نَفَسٌ وما كانتْ عروقُها نابضةٌ
 و "ليزا" الكافرةُ الفاجرةُ
 تنادي "جون": أقبلْ يا عشيقِي
 كي تصورَني وتبقى الصورةُ محفورةً لنا أبداً في شَجَرِ الذاكرةِ
 وترتبطُ "ليزا" رسنَ الكلبِ حولَ جيدكِ الرقيقِ يا فاطمةِ
 تضحكُ، تهزأ، وبقدميها تركلكِ يا عروسَ الفراتِ الهائمةِ
 تفترشُ "ليزا" على شفتي شيطانها قبلةً غاويةَ
 يرجعُ للوراء، يصوّرُها وهي على صدرِ فاطمةَ، جاثمةَ
 يقفان على صدرِها ويغيّبان مرةً أخرى في قُبلةِ سادرةٍ

(3) حُبْلَى

بعد شهرٍين واذردادوا أياماً
 هاتقته من وراء البحر قائلةً:
 - أذكرُ يا عشيقِي يومَ ذُبْنَا معاً في قيلتينِ فوقَ صدرِ تلكِ "؟؟؟"
 - نعم أذكرُها وكانَ اسمُها يا معشوقِي - فاطمةَ
 - حُبْلَى أنا مُذْتَلَكَ الليلةَ الباهرةَ

(4) وضوء

توضاً المعتصمُ من نسائمِ الفراتِ
 وحطَّ رذاذُ الماءِ على صدرِ فاطمةَ
 صَحَّتْ من سُباتِها تحتَ أقدامِ الجبارَةِ

عستْ، حمَتْ، نفَتْ عن روحِها غبار الكافرة
حملها الرذاذُ على جناحِه إلى المرقد
توضأَتْ من نسيمِ الفجرِ وصلَتْ ركعتين فوق الأرض العالمة

(5) كان زهوقا

طارَ النسُّ وغسلَ ماءَ الفراتِ بيديه
صلى المعتصمُ في جوفِ النهرِ ركعتين
طارَ فاطمةُ من المرقدِ للمسجدِ على جناحين
توضأَتْ بماءِ الفراتِ وارتفَتْ ميلاً و سجدين
فاضَ الفراتُ على كلِ الأرضِ يغسلها
توضأَتْ الأرضُ برذاذِ وضوءِ المعتصمِ و الفاطمة
تسامي نورِ الرذاذ يحرق الأدرانا
فزهقَ الأراذلُ في الأرضِ زرافاتٍ و وحدانا

(6) ذر الفناء

صرخت "ليزا":

- "جون" يا عشيقِي إني وجئني خنق
- وأنا يا عشيقتي بالنار أحترق
- فاطمة "اللعينة" ترش علينا ذر الفناء
- جسدي يا ليزا أضحي رمادا
- وأنا يا جون وجئني أضحينا سرابا

عطور الفجر

(1) العطور

سألت عبير الفراشة الساكنة في عش على أغصان الغيم تظلل أم الشهيد:
هل هناك فرق بين عطور الرجال والنساء؟
قالت الفراشة: لم أجد فرقاً بين أطياف العطر المتسامي من دم محمد
الدرة ودم إيمان الهمص!

(2) النوار

زرعت عبير شجرة زيتون فوق قبر الشهيدة إيمان فخرج نوارها بتلات
من النعناع والريحان والياسمين.
سألتها: ألسنت زيتونتي التي زرعت يوماً؟
قالت: نعم وأسمي إيمان!!

(3) السنابل

زرعت عبير آلافاً من حبات مساحة دم الشهداء
نمت سنابل الأرواح في بيوت شهداء الزهور
مرت الغزالة على بيت إيمان كي تسلم على السنابل
شربت كأساً من مسک الندى كانت تشربه الشهيدة كل صباح
قالت لها الأم: اينتي كل يوم يا ابنتي فإني أرى فيك ابنتي

(4) النساء

قالت عبير لأختها:

سأل القمر البحر من أين لك هذا الشذا المتطاير مع نسائمك عبقا؟

قال البحر: كنت في وداع زهرة استشهدت في بيت المقدس فزادته ألفا!

(5) الريش

جلست عبير على أجنحة الورود وقالت لأختها:

طرتُ مع العصافير في السماء

طارت السماء بألف جناح من مسك وألف جناح من نور

قالت العصافير للسماء:

لا تسرعي لقد تعينا

قالت السماء:

لست أنا من يطير إنما تحملني أرواح الشهداء في فلسطين والعراق

والأفغان فهزت العصافير رؤوسها ومضت.

(6) الأجنحة

قالت عبير لإيمان:

قولي لصفائر السنابل إنك ذاهبة إلى القدس للصلوة

وقولي للموج أن يحملك لقبر شهيد طاب شذاه

وقولي للريح أن تحملك نحو قمر هام في القدس سناء

قالت: لا، سأقول للسنابل أن تحمل الوطن على أجنحتها وترش بذور

المسك من دم الشهداء فوق عواصم الأعراب لعلها تستيقظ!! يا الله

(7) الحروف

تساقطت الحروف من السماء لآلئ من مطر
ملأَت الكون من عبرها الفواح عطرا
جمعت عبر آلافا منها في حجرها المنسوج من عروق الندى
زرعتها وقريناتها على شاطئ الشهادة الممتد على طول المدى
نبنت الحروف على الأرض
زيتنها لوحة مكتوبا عليها بالألفار "الشهيد حبيب الله"
ذهبت عبر إلى حضن أمها
- أريد أن أموت شهيدة يا أماه

دم الزهور

سماح زهرة ندية حفظت كل أناشيد الصباح
 أمسكت يد أختها الصغيرة وسارتا كملkin جمليين على الرمال الذهبية
 للمدينة

تنظران إلى الغرب فتكتحل عيونهن بزرقة بحر يقف شامخا يحرس
 أحلامهن الجنينية الزاهية التي تنمو في رحم النعاع
 تسيران نحو الشمس وهي لا تكف عن "زغولة" عيونهن العسلية التي لم
 تكتحل بعد إلا بزهور اللوز والبرتقال والياسمين
 سندذهب غدا من الطريق الآخر حتى لا تعاكس الشمس عيوننا: تقول
 سماح لأختها، ترد أختها فتقول: الطريق الأخرى موحشة وأخاف أن
 أسيير فيها

ترقبان الطائرة الزنانة التي تجوب سماء المخيم لأيام مضت، تستمعان
 صوتها الوقع وهي تمسح كل ذرة من ذرات الثرى، تصورها، تراقب
 المقاومين في كل لحظة، تقول سماح لأختها:
 - هذه الطائرة هي التي اغتالت الشيخ الشهيد أحمد ياسين
 - وهل هناك أحلى من أن يموت الإنسان شهيدا؟

تغنيان معا وبعفوية طفانيين بربئتين:
"على القدس رايحين شهداء بالملائين"

تنبهان فإذا عشرات من الأطفال يسرون خلفهما ويرددون نفس التشيد
حتى طغى على صوت الزنانة اللعينة، فرحت الطفلتان أنهما قد هزمتا
بصوتيهما الرخيمين صوت الشياطين الطائرة التي تقتسم سماء الوطن
ترفعان صوتيهما ليستمتعوا بصداء يتتردد في كل أزقة المخيم الضيقه وما
أجمل الصوت وهو يعود إليهن من هناك.

يرفع الأطفال أصواتهم كذلك فتتعيق أرجاء المخيم بشذا التشيد المتفجر
من حناجر فراشات لم يعرفن بعد سوى البراءة والطهر والحنان
يدخلون باب المدرسة مرددين أشودة القدس الحبيبة وطلب الشهادة
تخرج المعلمات من غرفهن على وقع نايات تضرب على أوتارها حناجر
من بتلات الازهور ...

ينظرن إلى هذا المشهد الملائكي البديع والتلميذات ينسبن نحو المدرسة
بهدوء كجدول ماء رقراق تعرّد على صفحاته عصافير يعجز اللسان عن
وصفها وجمالها.

تقف مديرية المدرسة أمامهن وعييناها ترسلان الدموع في كل اتجاه
وتفخر أمم المعلمات كلهن: ألم أقل لكن إنها من ألبغ التلميذات؟؟؟
تخرط المعلمات وينشدن وراء سماح
تسيل دموعهن على وجنتهن أنهارا... أخذت جدران المدرسة تهتز
وتردد الغناء كما الأشجار والورود والزهور في ساحة المدرسة

كل الدنيا تغنى للقدس وتحن إليها وتغازل مسجدها وقبتها وصخرتها وكل
ذرة من ثراها
والطفلتان الجميلتان تتقدمان عرس القدس في مدرسة القائد الفاتح طارق
بن زياد

تعلن مديرية المدرسة وقف النشيد وابتداء طابور الصباح:
وبعد التمارين الرياضية تعتمي سماح منصة الإذاعة المدرسية وتتقى
كلمتها "سبحان الذي أسرى..." في مثل هذا اليوم زار رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) فلسطين في زيارة ربانية، نزل بساحة المسجد الأقصى،
رأس أعظم مؤتمر للأنبياء في التاريخ، صلى بهم إماما ثم صعد إلى
السماء، هنا على هذه الأرض الطيبة حطت قدماه الطاهرتان لتشرفها إلى
الأبد، ما زالت رائحة الطيب المتناثر من جسده الشريف ومن روحه
الكريمة تملأ المكان والزمان!! أنتم اليوم أيها الأحباء والحبسات
 تستنشقون من هواء استنشقه أعظم قائد عرفته البشرية، ها هو الهواء
 المعطر بأنفاسه (صلى الله عليه وسلم) يدخل الرئتين منا، يذوب في
 أجسادنا وفي دمنا هل تشمون رائحة المسك التي تفوح من دم الشهداء
 الذين يرون أرضنا كل يوم؟ إنها من بقايا رائحته الزكية يوم أبي إلا أن
 يزورنا من قبل أن نولد ليؤكد عنوان هذه الأرض، من منا نحن تلاميذ
 وتلميذات هذه المدرسة لا يرغب أن يستشهد في سبيل الله والوطن؟"
 وصرخت بأعلى صوتها أحبيوني بربكم وبأعلى صوتكم:
 - من ربكم ؟
 فكان الجواب مزلزا لكل الدنيا

- الله

- ما دينكم؟

- الإسلام

- من قائدكم؟

- الرسول محمد

وقد كان الجواب لكل سؤال يجري الدموع في الماقبي، حتى غدا المشهد ملائكياً بزهراً وله زهوره واستمرت سماح في كلمتها ومديرة المدرسة والمعلمات مشدوهات مأخذ ذات بما يسمع من عمق في كلمة طفلة تف على اعتاب زهرتها التاسعة، وكأنها ابنة العشرين أو يزيد، وانتهت سماح من كلمتها، وليس أحد من الحضور يود أن تنتهي وتقبلها المديرة قبلتين على وجنتيها وقبلة على جبينها وتقول لها:

أنت أحب الناس إلى أيتها الزهرة، وتناسب دموعهما معاً
وتعلن المديرة في الإذاعة المدرسية أن غداً سيكون يوم تكريمه لسماح
تقديرًا لها على نشاطها وتفانيها في خدمة المدرسة، تفرح سماح ولا تكاد
تصدق ما تسمع، وتکاد الدنيا كلها لا تسع حبورها وسرورها

سأذهب إلى أمي أبشرها وأقبلها، سأقل إليها دعوة المديرة لحضور حفل التكريم، سأحفظ بقية سورة الإسراء هذا اليوم، وسأحفظ أجمل الشيد لنغني غداً أمام المدرسة لفلسطين والقدس والأقصى والأسرى والشهداء.

تجمع المعلمة سماح وتسعاً من الزهارات لترتيب أمور الحفل في الغد يجلسن وسماح تشطح بفكرة وفي ذهنها كيف يكون غداً أجمل أيامها

وأيام أمها، تود أن تزرع الفرحة في قلب أمها بعد الحزن الذي أصابها في السنة الماضية وذلك بعد استشهاد أخيها أحمد، دموعها تهمر على وجنتيها، آه اليوم سأزرع الفرحة في عيني، أمي ترى هل ستفرح أمي؟؟ هل سوف أراها تضحك؟؟ تترغد؟؟ أم أنها سوف تستقبل هذه الأخبار ببرود؟؟ يا رب فرّح أمي !! يا رب احفظها لي.

تلهم... هاهي تسير في الطريق، هاهي تقترب من بيتها، دقائق وتكون في حضن أمها، تستعجل الخطى، تنظر إلى السماء، ترى عصافورا يطير، يا إلهي لو أن لي جناحين مثله لأحط على قلب أمي.

تنقض القذائف عليهن في الغرفة، تصب جام جهنمهما على الزهور ومعلمتهن، تصرخ بأعلى صوتها أمي أمي أبي أبي أعمامي أخوالى يا كل الدنيا من يسمعني؟؟ هل هناك أحد يسمعني؟؟ أريد أن اذهب إلى أمي أفرحها أحفظ سورة الإسراء غدا حفلة تكريمي... أمي أمي، بالله عليكم أقذوني. ترتمي الزهور ومعلمتهن على الأرض ودمهن يفور من الألف والفم وجروح تملأ أجساد النعناع.

تمكث سماح مغمى عليها عشرة أيام في مستشفى ناصر، في اليوم العاشر تصحو من سباتها الطويل، تجد أمها إلى جانبها، تقول لها بلهفة:
- غدا يا أمي سيكون حفل تكريمي في المدرسة، فهل ستائنين؟؟

الخازوق السابع

(1) السيف

اشترى عربي سيفا مطرزا بالذهب
وبقایا من حکایا العرب
كانت تعشعش في زوايا الذاكرة
وتسكن على شواطئ أحلام باهرة
فاشترط البائع عليه:
أن لا يطلق السيف صهيله إلا على الشعب
والأرض والثرى و الماء والعشب

(2) الصاروخ

واشتري عربي صاروخا مزخرفا
موشوم على مرافقه علم عربي بالوجه و القفا
وبقبته نفط عربي قد صفا
فاشترط البائع عليه:
استخدمه ضد من من غير انك قد جفا

(3) المدفع

واشتري ثالث مدفعا منمقا
من فرط جماله قد ترونقا

فاشترط البائع عليه أن لا يستخدمه أبدا

حتى يأكله الصدا

كما تأكل النار الحطبا

فيعود إلى الأرض التي خرج منها سالما مسلما

(4) النفط

وباع عربي من أرضه الجبل بالحزن نفطا

سموه يوما من بهاء الحسن وحسن البهاء ذهبا اسودا

فترض عليه المشتري ضريبة جديدة

أسماها ضريبة الذهب

مقدارها كنصف سعره

مغلوب على أمره

وقد ظن انه غالب

(5) اتفاق

وعقد عربي اتفاقا كي يدخل به فردوسا موعدة

مع دولة في أقصاها الكون بعيدة

فسدوا في خبر الاتفاق

دسمانا ناقعا و دما يراق

(6) الذهب

اشترت الحرباء الرقطاء ألف طن من الذهب

الذي تنتجه أرض بلادي المورقة ذات الخصب
بالسرع الذي تزيد
وباعته لي ثانية بألف ضعف و لديها مزيد

(7) اغتصاب

رفع عربي سيفه الصمصم على المغتصب
دافعا عن شرف الوردة الجورية
فاغتصبوه وأرضه وشعبه و الجمهورية
على قارعة الطريق
قال الحكيم:
هذا والله هو سابع الخوازيق !!
فاحتشد الأطفال وبقايا من الغزالت تجمع ما اهتزأ من نبوب
وأدعياء الذكرة في غيهم سامدون
ومن وراء حباب على مشهد اغتصاب أمهم يتفرجون !!
فغدت الأطفال والغزالت في منتصف الطريق
تسن السيف بالصخر
حتى غدا يزينها الأحمر القاني
ويشعل دنياها البريق
ولا توقفها مهما تكالبت عليها
كل الخوازيق

سبع فضائح رسمية

(1) العين

تقامت رصاصة عارية ملفوحة بالنار من عين صفاء وذهبت بها بعيدا داخل رأسها الحالم في الوردة الجورية، ما زالت صفاء وعلى آخر من الجمر الذي أوقنته الرصاصة في عصافير رأسها المغردة تنتظر عودة عينها اليمنى من رحلتها على متن طائرة من الرصاص المسكوب.

(2) الرأس

صفاء ببراءة مسبحة الندى المعششة في قلبها، قالت لأمها التي فقدت رأسها بصاروخ صديق من طراز جو-أرض فوق الأرض العربية المعبقة بنسمات دم الأطفال: متى سترجع عيني يا أمي؟ قالت الأم: حينما يرجع رأسي يا بنיתי!! قالت صفاء بطهر دمها: إذن دعني أحل واجباتي المدرسية حتى يعود رأسك المسروق يا أماه.

(3) الجسد

سألت الأم الحزينة أشلاء جارتها المسكينة: هل تذكرين الصاروخ الذي طير في سماء الحقد رأسي قبيل لحظات؟ قالت الجارة: نعم لقد رأيته حينما كان مارا بجسدي حيث تعطلت كل إشارات المرور، ولم تتمكن الشرطة العربية من إضاءة الإشارة الحمراء لحظتها.

(4) إشارة مرور

طلب قطر عربي متقدم من دولة غريبة متحضره تركيب إشارات مرور حديثة في القطر فأجابوه بعد انتهاء الحرب لأننا نخشى أن تعرقل الإشارات الضوئية حركة سير الرصاص والصواريخ والقذائف المارة في فضاءات أدمغة الأطفال الذين يهددون الاستقرار الكوني أو المراكب التي تسير في دمائهم.

(5) الفرات

سأل طفل عربي جنديا يبول في نهر الفرات: لماذا تعملها هنا؟ قال الجندي: جئت خصيصا كي أرش فيه أسمدة التخصيب للديمقراطية، نادى الطفل على المعتصم: سيدى، فلم يجبه غير الصدى الذي صاع فوق الأرض العربية، وأسرع النسر نحو النهر يطير به في سماء الفراش

(6) الصدى

طلب رئيس الاستخبارات من جيوش ال يوم والغربان جمع صدى صوت الصقور والنسور في قوارير بلاستيكية مصنوعة من النفط العربي،

خرجت البويم والغربان في الليل تتعرس طريقها ورجعت وقد عبا صدى
لهاثها كل القوارير حيث أبىت القوارير إلا أن تشتعل في الطريق كي
تحرق الدنس الذي تحمله البويم والغربان.

(7) الفراشة

سأل العصفور الفراشة التي كانت تحاول أن تسبقه في الطيران فوق
الأرض العربية: لماذا تسرعين؟ قالت: يأجوج ومأجوج وصلوا!! سأحشد
جيش الفراش، يا جيش الفراش اخرجوا من مساكنكم، فصرخ العصفور
يا عشر العصافير هلموا!!

عيناكِ غابتنا نخيل

سناء ريحانة دلفت في شهر رمضان إلى زهور ربيعها العاشر هكذا
تُؤرخ لها أمها فقد كحل نور القمر عينيها في ليلة القدر عيناهما
الحضرات وان تجعلن أمها دوماً تتندش مطلع رائعة الشاعر العراقي الفذ بدر
شاكر السياب:

عيناكِ غابتنا نخيلٌ ساعةَ السحرِ
أو شُرْفَقَانَ راح ينأى عنهمَا القمر

كانت الأم تدعوا الله أن يرزقها زهرة ملائكة ينعكس في مرايا عينيها
نخيل العراق الشامخ فرزقها الله ملاكاً صغيراً في ليلة القدر أسمتها
"سناء" تيمناً بسنا الليلة المباركة، كبر الملاك وأضحت العصافور النطاط
يزين البيت ويزيده جمالاً وبهاءً، جلسوا على مائدة الإفطار ليلة القدر
العاشرة لسناء في بيتهما الذي يطل على ضفة النهر الرقراق.

رفعت سناء يديها الطاهرتين البريئتين المتوضستان إلى السماء:
- "اللهم انصر الإسلام والمسلمين في فلسطين والعراق وأفغانستان، اللهم
اغفر لي ولوالدي وللمسلمين يوم يقوم الحساب، اللهم تقبل صيامنا وقيامنا"
فجأة ارتمت سناء وسط مائدة الإفطار مضربة بنور دمها الناصع يتتاثر
دمها كنافورة في أطباق الطعام التي تزين المائدة الرمضانية

رصاصة تخترق شباك البيت ومن ثم إلى صدر سناه لتخرج من ظهرها.

* * *

تحمل سيارة الإسعاف الأسرة الصغيرة إلى مستشفى عسكري ميداني
تدخل الطبية "كاتي" يرافقها فريق طبي إلى حيث ترقد الزهرة سناه
ما زال بها رمق من حياة وقلبها اليانع يتثبت بنور القمر
عينها الخضراء ان مفتوحان تلتفان عبر السقف نحو السماء نحو الله
تمسك الطبية أدوات الجراحة وتبدأ في عملية جراحية
تخرج الطبية "كاتي" حيث الأب الحزين وتقول له بكلمة غريبة دخيلة
على النخيل والتراب:
- البنـت مـاتـت

يحملها أبوها على يديه ملفوفة في ثوب أبيض
يدخل البيت ويوجهها نحو القبلة
يكشف الغطاء عن وجهها ليقبلها قبلة الوداع الأخير ويرى ويا لهول ما
يرى ويصرخ:
- أين عيونها الخضراء أين عيونك يا سـنـاء؟؟؟

قالت تقارير استخباراتية عسكرية أوروبية أن تجارة رابحة أخذت في التزايد في الأسواق الأمريكية إثر قيام فريق من أطباء أمريكيين بذبح الأعضاء البشرية من القتلى وبعض الجرحى قبل القضاء عليهم لبيعها إلى المراكز الطبية والمرضى في أمريكا وأوضحت أن عناصر أوروبية من التحالف لاحظوا جثثا مشوهة ومنزوعة الأعضاء وأخبروا قياداتهم العسكرية، لكنها طالبتهـم بالصمت وعدم الخوض في هذا الحديث، بينما قامت هذه القيادات بكتابة تقارير سرية حول الأمر، وتم إرسالها إلى وزارات الدفاع الأوروبية للإطـاطـة.

حينما يعيش الأطفال

ثلاثون من الزهور والورود يجلسون على بنتلات من ندى الوطن،
بعضهم قد ابتلت ملابسه بماء الشتاء فأخذت أسنانه تصطك ببعضها
اصطكاكا ، والبعض الآخر تلتقص أعضاء جسده في بعضها من لساعات
الشتاء في هذا الصباح، وطاقة ثالثة تقفر من مكان إلى مكان غير عابئة
بنحلات البرد التي تحوم بين المقاعد، ومجموعة رابعة تغنى للقدس
وتعزف بأكفها النعناعية لأجمل الألحان بالضرب على خشب المقاعد
دخل الأستاذ خالد، مدرس التربية الرياضية الفصل كعادته مرحا مبتسما،
لم يلق بالاً إلى الشغب الذي يملأ الفصل ويقاد صداه ينتقل إلى كل أرجاء
المدرسة، وقف التلاميذ وهرقوا بأعلى صوتهم:

أهلا وسهلا ومرحبا
بالأستاذ خالد

اللي نوره أقوى من نور الكهربه
ابتسم المدرس الذي لا تغادره ابتسامته الجميلة الرائعة والمرسومة بريشة
المبدع (سبحانه) على ثغره الضحوك ووجهه البشوش وهي الابتسامة
التي تضفي على جو المدرسة نكهة خاصة وعبقا متميزا يشتق إليها
التلاميذ كما المدرسوں كيف لا وهو المدرس المحبوب من الجميع وهو

الحاصل هذا العام على لقب المدرس المثالي، ليس على مستوى مدرسته فحسب، بل على مستوى منطقته التعليمية بأكملها.

سلم المدرس على تلاميذه، فردوا جميعاً وبصوت أنشودي مرتفع: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

كان الجو ماطراً، والرياح شديدة، والبرد القارس يكاد يقيد التلاميذ بمقاعدهم، لم يصل جميع التلاميذ إلى مدرستهم، يوشوش بعض التلاميذ بعضهم:

لماذا حضرنا اليوم إلى المدرسة في هذا البرد الشديد؟

ربما نأخذ اليوم أربع حصص بدلاً من ست!

ربما يعطينا بعض المدرسين حصص تقوية اليوم!

وقال آخرون:

نريد من المدرسين اليوم أن يحدثونا عن الجهاد والشهادة والأقصى

قال أشرف (عريف الفصل وهو الطفل الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره (بعد):

- لو سمحت أستاذني خالد، أود أن أنقل إليك رغبة التلاميذ، فهم قد أجمعوا على عدم الخروج من الفصل اليوم بسبب البرد والمطر.

- وماذا سوف نصنع في حصة اليوم؟

- حدثنا عن الجهاد والشهادة يا أستاذ من فضلك.

ابتسم الأستاذ كما هي عادته، وبدأ يتحدث عن الجهاد في سبيل الله ويصف لهم المعارك الخالدة والفاصلة في تاريخ الأمة الإسلامية..

تخيل تلميذ نفسه انه يحمل السيف الصمصم في يده ويقاتل أعداء الله وتخيل آخر نفسه وهو يحمل القاذف على كتفه ويذكر به حصونهم وصياصيهم وثالث يدافع عن مخيمه الذي يجتاحه بنو صهيون بكرة وعشيا ورابع يحمل بندقيته ويدافع بها عن بيتهم الذي هدمه جنود الاحتلال قبل أيام معدودة وخامس يقول في نفسه: كيف أسمح لهم أن يهدموا بيتنا حتى غدوات لا أجد كتابا ولا قلما ولا دفترا، احترق ملابسي وفراشي، لم أجد ما أذهب به إلى المدرسة في اليوم التالي، بت ليلتها في بيت خالي، وخجلت في الصباح أن أفتر مع أولاده، وخجلت أن ألبس من ملابسهم المدرسية، وسادس يتذكر كيف قتلوا أخيه التي تصغره بعام واحد وهي تجلس على مقعدها في المدرسة وسابع وثامن وعاشر وعشرون.

عاشوا لحظات النصر والعزيمة في غزوة بدر ولحظات أخرى في معركة اليرموك والسيف المسؤول وهو يؤدب أعداء الله، ولحظات ثالثة عاشهوا في فتح المسجد الأقصى وكيف دخل أمير المؤمنين عمر بيته المقدس مأشيا على قدميه وخدمه يركب الدابة وبثوب أمير الأمة سبع عشرة رقعة، بل نيشان عسكري رفيع كانت دموع الأستاذ تسيل على خديه حبا وشوقا، وحزنا على ما آل إليه حال المسلمين والعرب اليوم ولم تخلي عيون التلاميذ بدموعها ففاضت هي الأخرى كما عيون أستاذهم، وأعطى بعضهم البعض منديل الورق لتجفيفها، فيما حاول بعض منهم حبسها إلا أن كهرباء التاريخ والانتصارات العزيزة قد سرت في كل كياناتهم وأحساسهم ومشاعرهم حتى غدت أرواحهم وكأنها تحلق في أرض غير

الأرض وفي سماء غير السماء، يا إلهي إنه تاريخ جميل ونناصر لماذا لا
يعلموننا إيه كل يوم وكل لحظة؟

قالها أشرف في نفسه وهو يغالب دموعا تكاد تتفجر عيونا من بحر مقانيه
وبينما الأستاذ خالد منهمك في سرده لروائع التاريخ الناصع ومعاركه
المظفرة وأسوده الميامين.

نظر من شباك الفصل وعصفور صغير جميل ذو لون أخضر مُذهب
يقف على حديد الشباك ويمد جيده الطويل إلى داخل الفصل، ويتفحص
وجه المدرس والتلاميذ، ويدور عينيه في وجوههم وجها وجها، كأنما
يعرفهم منذ زمن ويقرأ أسماءهم فردا فردا وتلميذا تلميذا.

التفت التلاميذ إلى هذا العصفور الجريء، توجه بعضهم ووقف إلى جانب
المدرس ظل العصفور كما هو، ينظر ويتفحص، تراكم التلاميذ حول
مدرسهم، والعصفور ينظر ويغدر ويقفز ويرقص وكأنما يشير بعينيه إلى
الجميع أن غنووا معى وفجأة دق جرس انتهاء الحصة، قال أشرف للأستاذ
خالد:

لذلك لم تحدثنا عن الشهادة كما طلبنا منك يا أستاذ؟
سأحدثكم غدا إن شاء الله

وغادر الأستاذ الفصل ووجهه ووجوه التلاميذ لم تزل غارقة في بحر
فياض من الدموع وما زال العصفور يرقبهم ويودع الأستاذ الخارج من
الفصل بعينين تمتدان بعيدا بعيدا.

عاد الأطفال إلى بيوتهم يحدثون أمهاتهم وأباءهم وإخواتهم وأخواتهم حول
أحاديث الفتح والنصر والقدس والبريموك وصلاح الدين فبكوا مرة أخرى
وابكوا أهليهم معهم، وأنهم غدا سوف يعيدون على مسامعهم ما سيقوله

لهم الأستاذ خالد عن الشهادة وأجر الشهيد وكراماته وفضله وأنوراه.

في الصباح، ذهب التلاميذ إلى المدرسة وكلهم شوق لأحاديث الشهادة والشهداء، إلى الابتسامة الجميلة التي يحوطهم بها الأستاذ خالد، إلى طريقته السردية المشوقة وهو يصف لهم المعارك الفاصلة.

ولجوا إلى باب المدرسة زرافات ووحدانا وجدوا مظاهر غريبة... أبواب الفصول مغلقة... العيون باكية... الدموع تجري على الخود... الوجوه الحزينة لا أحد يتكلم.

توجه إليهم أحد زملائهم، والذي سبقهم إلى ساحة المدرسة ودموعه تنساب على وجنتيه وقال:

هنيئاً له وهنيئاً لكم أستاذنا خالد استشهاد فجر اليوم في عملية اقتحام بطولية.

أُمّاه

نسرین وكما توقعـت

جائـعـتها آلام المخاض مـبـكـرة عن موعدـها بـأـيـام

وـبـعـدـ منـتـصـفـ اللـيلـ بـقـلـيلـ

هلـ تـصـبـرـ لـلـصـبـاحـ؟

هلـ توـقـطـ زـوـجـهاـ الـمـنـهـكـ طـوـلـ النـهـارـ مـنـ أحـلـامـهـ الـوـرـديـةـ؟

هلـ تـسـتـطـعـ اـخـتـرـاقـ الـحـواـجزـ وـالـوـصـولـ لـلـمـشـفـىـ؟

لوـ كـانـ الـأـمـرـ مـتـعـلـقاـ بـالـوـصـولـ إـلـىـ الـمـشـفـىـ،ـ وـبـدـونـ حـواـجزـ لـكـانـ الـوـضـعـ

أـفـضـلـ بـكـثـيرـ،ـ زـادـتـ الـآـلـامـ،ـ كـابـدـتـ،ـ تـحـمـلـتـ،ـ ذـهـبـتـ لـلـصـالـةـ،ـ حـتـىـ لـاـ يـحـسـ

زـوـجـهاـ بـهـاـ،ـ هـاجـمـتـهاـ مـوـجـةـ عـاتـيةـ مـنـ مـغـصـ شـدـيدـ تـحـمـلـهاـ بـصـعـوبـةـ

دـمـوعـهاـ انـدرـتـ عـلـىـ وـجـنـيـهاـ تـوـجـهـتـ إـلـىـ اللهـ:

ـ اللـهـ اـسـتـرـ وـخـفـ المـوـجـةـ الـقـادـمـةـ

مرـتـ دـقـائقـ هـادـئـةـ،ـ أـحـذـتـ مـوـجـةـ الـأـلـمـ الثـانـيـةـ تـشـتـدـ،ـ صـرـخـتـ صـرـخـةـ عـالـيـةـ

رـغـمـ أـفـهـاـ،ـ لـمـ تـسـتـطـعـ مـنـ الـأـلـمـ كـتـمـانـهاـ،ـ هـبـ زـوـجـهاـ مـنـ فـرـاشـهـ،ـ بـحـثـ

عـنـهـاـ،ـ وـجـدـهـاـ تـأـوـهـ عـلـىـ كـنـبةـ فـيـ الصـالـةـ،ـ تـلـاقـتـ عـيـنـاهـمـاـ،ـ أـحـسـتـ وـكـأنـهـاـ

أـذـنـبـ قـالـتـ:

ـ آـسـفـةـ يـاـ صـابـرـ،ـ لـمـ أـسـتـطـعـ التـحـمـلـ،ـ وـلـاـ كـتمـ صـوـتـيـ

ـ اللـهـ يـسـامـحـكـ

ـ الـفـصـةـ لـيـسـتـ فـيـ إـيقـاظـكـ،ـ بـلـ فـيـ اـجـتـياـزـ الـحـواـجزـ فـيـ هـذـاـ الـوقـتـ

- إلها نعمل اللي علينا والباقي على الله

اتصل بسيارة الإسعاف، أخبروه أنهم سيكونون عنده خلال ربع ساعة،
وعليه أن يجهز خلال هذه الفترة
جلس إلى جانب نسرين، وضع يده على كتفها، أمسك يدها بيده الأخرى،
قالت:

- أحس بالدفء والأمان وأنت بجانبي
- دقائق وتأتي سيارة الإسعاف إن شاء الله
- إن شاء الله
- تقومي بالسلامة إن شاء الله، وتأنينا "قدس" زي الوردة، وتملاً البيت
عليها بكاء وضحكا، كم أنا مشتاق إليها، كنت أود أن أمي وأمك على قيد
الحياة ليفرحا عليها
- يا ريت يا صابر، كانت أمي تتمنى دائماً أن ترى المولود البكر لي

ينظر إلى ساعته، مضت الربع ساعة وزيادة، لم تأت سيارة الإسعاف،
يتصل مرة أخرى، يجيبه الطرف الآخر
- السيارة على الحاجز، وال الحاجز مغلق، وجاري عمل تنسيق
- كم يحتاج ذلك من وقت؟
- الله أعلم، وسنأريك بمجرد الحصول على إذن الدخول

ينظر بعينين حائزتين إلى نسرين، وهو لا يستطيع أن يقدم لها شيئاً، تزداد
الآلام، تصرخ بشدة، تتأوه، تئن، يطوقها بذراعيه، ويقول:

- عما قليل تصل السيارة

- إن شاء الله

تمضي ساعات ونسرين تغوص في فترات إغماء، وصابر لا يدرى ماذا يصنع، تداهمه فكرة أن ينادي جارته أم علي، إنها امرأة طيبة، وهي أقدر على التعامل في مثل هذه الحالات، خرج، طرق الباب، سمع صوت أم علي من الداخل وهي تتوجه نحو الباب:

- خير يا بني

- زوجتي جاءها المخاض و سيارة الإسعاف لم تأت وهي منذ ساعات على الحاجز

أسرعت أم علي وارتدى ثيابا لمرافقه الزوج، خرجت معه، دخلت الشقة، اتجها نحو الصالون حيث ترقد نسرين كانت نسرين هادئة لا حراك فيها، أمسكت أم علي يدها، وضفت راحتها على صدرها، صرخت بأعلى صوتها:

- حسيبي الله ونعم الوكيل على أولاد الحرام
نسرين فارقت الحياة

عند مطلع الفجر وصلت سيارة الإسعاف، حملوا حثة نسرين نحو المستشفى، الجنين لا يزال حيا، أجرروا عملية جراحية لها، خرجت "قدس" تصرخ بأعلى صوتها:

- أمّااه

عشيقتي في عيد العشاق

شمعون أحد جنود الاحتلال دخل حديثاً إلى الخدمة قتل فلسطينياً بقذيفة
دبابة فصلت القذيفة الرأس عن الجسد وحولت الجسد إلى أشلاء متاثرة
في كل مكان، أسرع شمعون نحو القتيل الفلسطيني، نادى صديقه عزرا،
قال له:

- أحضر الكاميرا وأعطني سيجارة
- أشعل السيجارة، وضعها في فم القتيل، جلس إلى جانب الرأس المقطوع
- وقال لزميله عزرا:
- التقط لي صورة
- ولماذا؟
- كي أرسلها إلى عشيقتي في عيد العشاق

وأضاف التقرير إنه "لم يكن في مكان الانفجار سوى جثة الفلسطيني، ليس جثة تماماً، بل أشلاء وروى أصدقاء "ي" والسعادة تعمّرهم كيف لعبوا بالجثة مثل الليغو (لعبة تجميع مكعبات بلاستيكية للأطفال) وعندما تم إخراج الكاميرات" لالتقط الصور.

وقالت الصحيفة: إن ضابطاً آخر، "ج" برتبة عسكرية، طلب أن يصوروه مع الرأس المقطوع وكان الأصدقاء يضحكون وتم وضع الرأس على عمود مثل الفرازة ووضع أحدهم سيجارة في فمه" وقال "ي" إن "هذا المنظر أعجب جميع الجنود

صحيفة يديعوت أحرونوت الإلكترونية، الجمعة، 2004/11/19

سلة الأحلام

عبير تحمل على كتفها سلة أحلامها وهي معلقة بعصا لوز مصقوله كذلك التي كان يحملها جدها لأمها، ويهش بها عليهم أحيانا مداعبا، وفي أحيان أخرى غاضبا، وهم حوله يقفزون ويلعبون ويضحكون وهو يأتي إليهم يملأ سلته بالعنب والتين والصبر وغيرها من فواكه فصل الصيف مرتدية ثوبه الأبيض الفضفاض وحطته والعقال المقصد والمطرز يسير في بهو البيت متباخترا كملك جميل يزورنا في كل جمعة والفراشات الصغيرة ترکض خلفه وتتطوف حول زهوره المعطاءة تجمع رحاقها المناسب شهدا فوق الروابي وفي أحضان أودية بين شقوق سلته المصنوعة من البوص المنمق والممرد، والذي كان ممزروعا على حافة بیارة طالما حدثنا عنها جدي ينظرون من بين شقوق السلة ليستعجلوا مادا يهدیهم جدهم اليوم ويصرخ آخرون منهم، بينما فرس جده تتمايل نحو البيت

- يا رب عنب اليوم
- أنا أحب التين، أريد تينا
- الصبر أزكي وأطيب

تقف الفرس أمام الباب وحدها، وسرجها المزركش والمنمق والملون يسحر العيون كما الأباب، والجد جالس عليه كمليك على كرسي مملكته،

تجه الفرس بهدوء نحو حلقة من حديد مثبتة في الجدار، ينزل الجد بسكتته المعهودة، يقول بصوته الجهوري:

- يا ساتر ويتحنح: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فتسمعه كل الحارة ويتحمّل الأطفال على نحنحة الجد وسلامه، تمسك عبير رسن الفرس، تباهي أمام قرياتها، تدخله في الحلقة المعدنية، يقول لها جدها:

- اربطيه يا عبير

- لا أعرف يا جدي

- تعالى أعلمك ويمسك يدها بيده ويقبلها ويحنو عليها، ويقول لها ضعي الرسن هنا، أخرجيه من هنا، لفيه، أدخليه مرة أخرى، هاهي قد ربطته، تجري في بيتهما الصغير وتصرخ:

- لقد ربطت فرس جدي

ترجع إلى جدها، يضع يده في جيبه، يعطيها قرشا، فتفرح وتضحك ولا تسعها كل الأكون، ويضع يده على رؤوس أطفال صغار تجمعوا، ويعطي كل واحد منهم قرشا فيفرون إلى أهليهم يغدون وينشدون فهذا هو يوم الجمعة الذي كانوا ينتظرون من ساعة إلى ساعة ومن يوم إلى يوم جدهم يوزع هداياه

تقول عبير لجدها:

- خليني أحمل معك السلة يا جدي.

وتمسكتها من الناحية الأخرى وتسير إلى جانبه وكأنها ملكت كل الدنيا بيديها وهي تسير نحو أمها طارت الطفلة كعصفورة رقيقة غريبة وألقت بنفسها على ميناء فوق صدر أمها الحاني.

- أماه... انظري سلة جدي في يدي والذئاب تلتحقني احميني يا أماه
- بسم الله الرحمن الرحيم، يا حي يا قيوم؟ وضمتها إلى صدرها

الذئاب تتهش الطفلة وهي قابضة على صدر أماه، دمها يسيل، تلتصرق
بصدر أماه، تشد عليها، تصرخ عبر صرخة مدوية
- الذئب يا أمري

يستيقظ كل من في البيت، تجري عبر نحو الغرفة التي بيت فيها جدها
تجد سلة البوص معلقة في السقف تتسلل إلى صدر جدها تأوي إلى
حضنه الدافئ يضمها إلى صدره ويقول:
- ماذا يا عبرتي؟؟
- لقد سرقوا سلتي !!

في حضن أبيها

بينما كان القمر يسكب أنواره في بيوت المخيم فيتسرّب إليها هادئاً من نوافذها وشقوق جدرانها وما تكسر من اسbestosها، ومن خلال أبوابها المصنوعة من صفيح مهترئ، فيملأها عذوبة وصفاءً، وذلك برغم كل ما في جنباتها من شقاء، ها هي حنان تحل واجباتها المدرسية، تحضر دروس الغد، ترتّب كتبها ودفاترها وملابسها، تستعد لصبح مدرسي جميل، تصلي العشاء وأمها جماعة، أبوها يدخل البيت بعد أداء صلاة العشاء، تجري نحوه كعادتها كل ليلة منذ خروجه من السجن، وكعصفورة صغيرة تقبله، تتسلق على صدره الحاني، يحملها في قلبه وبين الضلوع، يطوف بها أنحاء البيت الصغير، يرسم على صفحات خديها أجمل اللوحات من أروع القبل، فكم كان مشتاقاً إليها وهو يتقدّم في غياب باستيلات بنى صهيون، كم كانت تزوره في أحلامه ورؤاه، وتتبادله هي خرابيش الأطفال ورسوماتهم السريالية على وجنتيه، وقد غدا شعر ذقنه ينغرس في وجنتيها شوكاً لذيداً، وكم كانت سعادتها وهي تداعب هذه الأشواك الجميلة براحتيها الورديتين حيث يزداد لون الورد فيهما نصرة وحسناً كلما داعبته أكثر.

من بعيد تأتي أصوات هادرة تقتتحم البيت بلا استذان لتكون ضيفاً غير مرغوب فيه، تتسرّب بين ثايا فراش حنان وتنتمرس على وسادتها

الجميلة، أصوات قبيحة تخلع النوم من العيون، وتطرد الراحة من الأبدان، وتقتل الهدوء في الآذان، فلا يسمع الإنسان سوى حديد يُجر على الإسفالت جراً تتقلب حنان في فراشها، يهرب النوم من جسدها الرقيق، تتشتت أفكارها في غير مكان وغير زمان، كما الريح العاصفة تطارد حبات الرمل الذهبية في صحراء شاسعة.

- أهي دبابات الاحتلالقادمة لاعتقال والدها الذي لم يمض على خروجه من السجن سوى أسبوع قليلة؟؟ - أم هم هنا في نزهة قليلة كما يفعلون أحياناً في استعراض للحديد الأمريكي فوق ثرى مخيمنا؟

- أنقوم من فراشها لتدرس دروسها للتخلص من هذا الكابوس؟ لكن هيهات أن يصد هذه الأصوات شيء !!! تخشى إن هي أضاءت غرفتها أن يتسرّب بعض ضوء إلى الخارج من عشرات الشقوق التي تملأ النافذة الخشبية، أو من فراغات كثيرة في سقف غدا كالغربال، فيرى الجنود الهاججون الضوء، فيتوجهون إلى البيت ويوسعون أهله ضرباً وعذاباً لا يطيقونه كما اعتادوا أن يفطروا مع كثيرين من أهل المخيم،

تقرب الأصوات الكريهة المقيمة، أصوات عبرية غريبة عن هذه الأرض تملأ المكان وتلوث فضاءات المخيم، رائحة نتنة تفوح من أجساد دخيلة، ضجيج بساطيرهم يكاد يخرق الأرض، يبدو أن بعضهم صار يمشي متراجلاً في أرقعة المخيم، تقرأ كل ما تحفظه من كتاب الله، سمعت جنتها يوماً تقرأ آية الكرسي حينما تدلهم الخطوب، ها هي تقرؤها، وتدعوه: - يا رب أبعدهم عننا، أحبك يا أبي، اللهم احفظ أبي، - لم أشبع منه بعد يا رب، أمضى عشرة أعوام في السجن، من قبل أن أولد بأيام، إلهي إلهي وتهمر دموعها وتعرف أن أباها وأمها يسمعان كل ما يجري، تخجل أن

تذهب إلى حصن أبيها للتدبر في كنفه والذوبان بين ذراعيه في هذا الليل الطويل الطويل - إلهي احفظ أبي وأمي وجيراني، احفظنا كلنا يا رب من هؤلاء الأوغاد، ماذا يريدون منا؟؟؟

تنذكر المرات العديدة التي زارت فيها أبيها في السجن، كيف كانت تدخل أصابعها من الشبك الحديدي لزنزانته، كيف قبل أبوها أصابعها وعضها واحدة واحدة !! وكيف كانت تخرج إصبعاً وتدخل الأخرى لتهمر دموع أبيها على وجنتيه، وتداري أنها أمواجاً من دموعها المخزونة خلف ابتسامة ظاهرة من قلب مكبوت منحوت، وكيف بكت هي في زيارة لاحقة حينما وجدت أن الشبك الحديدي قد تم استبدال زجاج مُصفّح به، قبلت حد أبيها من وراء الزجاج ألف مرة وقبل أبوها خديها آلاف المرات، وكيف كانت دموعهما تسيل على الزجاج من الداخل والخارج، ولا تزال تنذكر يوم قالت له:

سنرى دموع من تسقى هذه المرة: دموعي أم دموعك؟؟ فيضحك أبوها بهذا الشفاء والتفتح البلاكر، لكن وبعد ثوانٍ تضيق كل الدنيا بأبيها، ويغمض جفنيه وتختلاشى شموس عينيه وراء غيوم من دمع حتى صرخ السجان بلكته اللعينة الواقحة:

انتهى وقت الزيارة هنا يفتح أبوها عينيه، فترسل غيومهما الدمع من بحرهما مدراراً، هكذا تسقط الكلمات على سمعه وسمعها وسمع أنها كما الصاعقة، يفرقون بين قلوب يكبر فيها الحب ويتعاظم، وإنْ من وراء أسوارهم الخبيثة المجرمة توقفها من ذكرياتها المحزونة، هذه الأصوات اللعينة التي تقتتح هدوء الليل الجميل، وتقضى سكونه القمري، هم يقتلون

الحب والنسائم والندى في الليل، حتى النجوم شرعت تبتعد عن هذا المشهد فغارت بعيدا في السماء،

طرق شديد على الباب، تفزع حنان كالجنونة من فراشها، تصرخ، تخرج من باب غرفتها، جنود مدججون بالسلاح يملؤون ساحة البيت الصغيرة، يقفون في كل جانب، يطلق أحدهم النار، تقع حنان على الأرض خوفا ورعا من رذات نار صالية، أبوها مصلوب على الجدار ويداه مرفوعتان إلى أعلى، تماما هو المشهد المرهون لعرافي مصلوب في سجن "أبو غريب" تعود ذاكرتها الغضة الطيرية لمشاهد مقرزة عرضت قبل أسبوع في فضائية "الجزيرة" توضح تعذيب المجاهدين في العراق، وهو، نفس المشهد، هم هم ، لا يختلفون هنا وهناك المشهد واحد والقيد واحد والسجان واحد والعقاب واحد.

عيناها تتجهان نحو أبيها الممزروع إلى الجدار كأشجار النخيل صاما صامتا، ها هم قد ربوا يديه وقدميه وعنقه بالسلسل، وضعوا كيسا أسودا على رأسه، ربوا الكيس حول عنقه، ففقت من مكانها، تعلقت بعنق أبيها وطفقت تصرخ:

أبي أبي حبيبي إلى أين يأخذونك يا أبي اخرجوا اخرجوا من بيتك أريد أن أعيش في حضن أبي، وتزرع نفسها في حضنه كما الزيتون واللوز والبرنفال في حضن الأرض بل في رحمها، وتنشأ بجسده وتغرس جذورها في قلبه، تقبله من فوق الكيس كريه الرائحة وتبكي، وتخنط دموعها بدموع أبيها المتسربة من الكيس النتن كروائحهم الطافحة، يحاول أبوها أن يحرك يديه ليلمسها، يودعها، يطيب خاطرها ولكن يتقدم نحوها جندي حاقد، قد نُزعت كل الرحمة من سواده قلبه يشدّها شدا...

تردد هي تشبثاً بأشجار أبيها، يشدّها مرّة أخرى بهمجيّة لا تخطر على
قلب بشر ... تتسمّر يداها ورجلاتها حول جدار أبيها، تشبّك كفيها حول
عنقه، وتتأبى الفكاك من حضنه من حضنه من جسده من عنقه من قيده
من قلبه، من الكيس الأسود الجاثم فوق رأس كانت بالأمس قبله وتداعب
شيبا يزيّنه كخيوط القمر وقد نما قبل الأوّان، يأتي جندي آخر يساعد
يقتلّع قلب أبيها من قلبها كما نجار يقتلع مسماراً، لطمت أحدهما على
وجهه وخرّبشت الثاني بأظفارها،
يغدقان بها في ساح الـبيت مضرجة في دموعها، صرخت:
أخرجوا أخرجوا من بيتنا من أرضنا من بحرنا....
أريد أن أعيش في حضن أبي...
أبي اطمئن يا أبي سألحق بك غداً يا أبي.....

غسالة مونيكا

استيقظ الحمار من نومه، هز جسمه، انقضى، وقف، نظر حوله، مشى في الغابة الجميلة التي سكنها يوماً ما رأى مبنياً ضخماً يترااءى له متضائلاً

وهو يرمي من مكان بعيد، قال في نفسه:

- لأذهب وأرى ماذاك الصرح الممرد

توجه على مكث، يتناول بقايا أعشاب من الأرض، ويمد عنقه إلى شجر طويل فياكل بعض أوراقه والأغصان التي بها غضاضة وطراوة وما اشتهرت نفسه منها، فأنسانه قد تساقط بعضها لكبر سنها، وصل إلى المبني،

طرق الباب، رد حمار صغير:

- من الطارق؟

- جدك

- أوه جدي أهلاً وسهلاً وفتح له الباب ثم عانقه

- ماذا تصنع هنا؟

- أعمل موظفاً في غسالة مونيكا

- وما طبيعة عملك؟

- أغسل أدمغة الأسود المرشحة لتكون ملوكاً، تعال معي إلى الداخل هيا

نظر الجد فوجد آنية من حديد ونحاس وغسالات لم تكن على عهده، الآنية مليئة بجماجم الأسود، وأخرى مليئة بأدمغتها، وثالثة مليئة بالماء الساخن والصابون والمطهرات وآلات تعامل، سأل:

- وما هذا؟

- هذه أدمغة الأسود، نغسلها لحساب إمبراطور الذئاب

- وكيف تغسلونها؟

- نغسلها على سبع مراحل في سبع غسالات وذلك بعد إخراج الدماغ من الجمجمة، نضعه في الغسالة الأولى ونسأله؟

- من أنت؟

- أسد بن أسد

- ونضعه في الثانية ونسأله

- ما أمنيتك؟

أن أكون ملكاً

- ونضعه في الثالثة ونسأله

- هل لك تاريخ وحضاره؟

- لا

- وفي الرابعة نسأله

- إذا رأيت الذئب يود قتل أخيك ماذا تصنع؟

- أحاصر أخي

- وفي الخامسة نسأله

- إذا رأيت الذئب يغتصب أخيك ماذا تصنع؟

- أقیدها من قدميها ويديها وأقدمها له لقمة سائحة

- وفي السادسة نسأله
- إذا أمرك الذئب أمراً ماذا يكون ردك؟
- السمع والطاعة في كل الأحوال
- وفي السابعة نسأله
- ما نوع دماغك؟
- دماغ ذئب بعاطفة خنزير

ويُتوَجِّ الأَسْدُ بعدها ملكاً تحت إمرة إمبراطور الذئاب، قال الحمار الجد لحفيده:

- هذه قرود وليس أسود
- بل ورببي إن هؤلاء حقا من العبيد

وكان الجرذ يفرض الأسلاك الكهربائية في المبنى وما هي إلا لحظات حتى دب حريق هائل في أحائه، هرب الحمار الجد بجلده واحترق تأسود وهربت أخرى خارج المبنى والجرذ ينظر إليهم جميعاً، هرولت بعض الأسود الناجية إليه وقال كبيرهم للجرذ:

- أرجوك أنقذني من هذه الحرائق وسيكون دماغي دماغ جرذ ضحك الجرذ ومضى في طريقه

وشوشات الدموع

على أطراف المخيم حيث يلقي العnad الفلسطيني بالكرياء العالمي، هناك حيث تسكن "خلود" على خط النار، وهي اليوم تقف على اعتاب ربيعها الثامن، فليس لها عش آخر ترقد فيه إذا ما طغى صوت الحديد والنار على أصوات البلابل والحساسين، ويتلاشى عزف الطيور وغناؤها بين رخات الطلاقات الهائجة كثور فار، عشها الأول صادره "بلفور" من قبل أن تولد، ويصادره اليوم "أوباما" بكل صلف ودونما إحساس، لتسأل أمها وهي على فراش نومها:

لماذا ترسل أمريكا السلاح لإسرائيل؟؟
لماذا يقتلون عصافيرنا يا أماه؟؟ قُصي عليّ يا أماه قصة جدتي وقد شردوها من "بربرة" مشيا على الأقدام حتى لفظت أنفاسها الأخيرة في الطريق وقد بلغت من العمر سبعين خريفاً ونيف.

تبداً أمها بالحكاية، وتطبطب على رأسها وصدرها حتى يجرها النوم إلى مملكته جرا، فتتم الطفلة العصفورة لتصحو على صبح جيد ليوم درسي جديد، ها هو العام الدراسي يكاد يقترب من منتصفه و "خلود" بعد لم تسدد رسوم مدرستها، تكابد في كل صباح مرتين:

الأولى وهي تنظر إلى عيني أمها التي ما إن تلقي عيناها بعينيها حتى تصوب أمها عينيها نحو الأرض أو السماء، فكلتاها فارثان مجيستان وتنقنان بتقني لغة العيون الحزينة، وخلود تعلم علم اليقين أن ليس بمقدور أمها أن تدفع هذا القسط ومكابدتها الثانية وهي تدخل بباب مدرستها التي تحبها، تحس أن كل العيون تلتهم جسدها الضعيف النحيل و مريولها القديم و شنطتها المتراكلة، تحس أن كل التلاميذ والتلميذات والمدرسین والمدرسات ينظرون إليها يقولون في أنفسهم:

- "هذه التي لم تسد رسم المدرسة"

كانت هذه الخواطر تؤرقها في كل آن وحين، كلما تحركت، جلسَت، وفقت، مشت، تنفسَت، كلما طلعت الشمس من خرها أو داعب القمر شباك بيتهما الصغير في أطراف المخيم، كانت هذه الخواطر جيوشاً تهاجمها وتتناوش دماغها الصغير كعقارب أو ثعابين تلدغها في جلدها الرقيق دونما رحمة أو شفقة.

كان ذهابها إلى مدرستها كل صباح يمثل هاجساً عنيفاً لها، تحب المدرسة والدراسة والعلم وحل الواجبات والنشاط المدرسي، وكم وفقت أمام الإذاعة الصباحية وهي تردد بصوتها الرخيم الأناشيد الوطنية والإسلامية، وتغنى كل المدرسة خلفها ويتردد صدى صوتها في كل أنحاء المخيم، فتخيل أن كل الدنيا تتشد معها أو وراءها، وكيف كانت تندمج في نشيداتها حتى تجد الدموع تتساب من عينيها على وجنتيها السمراؤين كما جدول صغير يتمايل وسط ثرى فلسطين القاني، وتزداد دموعها انهماراً وهي تتشد وينشد كل الكون معها:

لا تبكي يا أم الشهيد كل الشباب اولاديكي

فتتذكرة الشهداء أحمد ويوف وعلي وإبراهيم وغيرهم وتتذكرة أمهاتهم
اللائي كن يطلقن الزغاريد في جنبات المخيم مع كل شهيد يرتقي أجححة
الملائكة إلى السماء السابعة تحت العرش العظيم.

وبعد انتهاءها من نشيد الصباح في ذلك اليوم تقف المعلمة وتعلن في طابور المدرسة:

- سيكون غدا الخميس آخر موعد لتسديد رسوم الدراسة، وكل من يتخلف فلن يسمح له بدخول المدرسة.

تقع هذه الكلمات كالصاعقة على سمع خلود، وتخالط دموعها، دموع الأناشيد التي تحبها ودموع الخوف من يوم الخميس القادم، تدخل فصلها وما زالت الدموع تتساقط على الخدين السمراء وين اللذين تشوبهما حمرة الحزن والخجل واليتم المبكر:

- هل ستتأتين إلى المدرسة غداً يا خلود؟؟؟

- هل ستقصلي من المدرسة وإخوتك وأخواتك؟؟؟

- هل سيبعث الله لك أحداً من أهل الخير فيدفع عنك وعن زميلاتك وأخواتك كما حدث قبل عام؟

- هل ستخبرين أمك بالموعد الأخير؟؟؟

آلاف من الأسئلة تجتاح عقلها الغض الصغير، فيغدو هذا الدماغ الطري
مشوشاً كدماغ فلسطيني يحمل سبعين خريفاً من حياة عجوز عاشت كل
نكات الوطن.

أين أنت يا جدتي؟ ألوذ بحضنك الحنون، أنام على وسادة صدرك الرؤوم
لماذا ماتت جدتي مبكراً؟! ومات أبي مبكراً؟! ليس لي سواك يا الله
وتغرق في بحر دموعها.

تعود إلى بيتها وتقرر ألا تخبر أمها، فأمها ليست في حاجة إلى إضافة
أحزان فوق جبال أحزانها، ألا يكفي وفاة أبيها المفاجئة قبل عام؟ ألا يكفي
أن إخواتها وأخواتها جميعاً لم يسددوا رسوم الدراسة بعد؟! ألا يكفي أن
أختها الصغرى، والتي لم تكمل السنة الأولى من عمرها، تناول على بعض
ماء وسكر بدلاً من طيب لا يجدوه، تحدث نفسها فتفقول:

- سأذهب إلى المدرسة غداً، وسأخبر مدير المدرسة أنني لا أستطيع
دفع الرسوم، المديرة تحبني، كانت تقلياني بعد كل نشيدة انشدها، كنت
أرى في عينيها الدموع كما كل المدرسات وطالبات، إنها لن تقضاني
وأخواتي إنها تحبني،

تحمل حزنها ودموعها وشمتتها في الصباح وتستجمع كل شجاعتها لتخبر
المديرة وتدعو في كل خطوة تخطوها أن يلين الله قلب مديرتها عليها،
وبينما هي سائرة في طريقها تداعبها أشعة الشمس الصباحية وبقايا من
الندى يتلألأ على قرميد بيوت المخيم، تنظر إليه وهو يلمع فيعطيها بريق
أمل في هذه الحياة.

فجأة ينهرم الرصاص الغادر من كل الجهات، إنهم جنود الاحتلال يقتحمون المخيم، تهرب "خلود" نحو جدار قريب، كانت الرصاصات الغادرات في انتظارها هناك... ترتمي على الأرض، تحس ألمًا في ظهرها تضع يدها حيث الألم ترجع يدها مليئة بالدم واللحم تعجب خلود عن الوجود.

تستيقظ عند الصباح لتجد نفسها على سرير أبيض، أنابيب وأكياس ومحاليل بعضها يدخل إلى جسمها والبعض الآخر يخرج منه، لا تفهم شيئاً، يدها ثقيلة ولا تستطيع تحريكها، إنها محاطة بالجس، ظهرها يكاد ينفجر من الألم، حولها مدمرة المدرسة وبعض مدرستها وبعض زميلاتها تمد يدها اليسرى إلى مدمرة المدرسة، تسلم عليها، تقبلها، تضع يدها على عنقها، تجذب المديرة نحوها برفق، توشوها:

- أنا وإخوتي لا نستطيع تسديد الرسوم هل تستطعيعين إعفاعنا؟؟

الدبّلة الشهيدة

ها هي أسماء اليوم تنهي ربيعها الثامن عشر، ويا لها من صدفة جميلة، إنه نفس اليوم الذي تستقبل فيه خبر نجاحها بنقوق في الثانوية العامة، تبوأت المرتبة الأولى على مدرستها، اتصلت مدير المدرسة بنفسها بزوجة عمها لتهنئتها، وهو البيت الذي تعيش في كفه بعد استشهاد كل أفراد أسرتها، أبيها، أمها، أخيها وأختها الصغيرة، حينما قصفت دبابات الاحتلال منزلهم في البلدة القديمة بزعم وجود مقاومين بداخله.

عاماً يمضيان من سني عمرها، وكأنهما آلاف السنين، كانت يومها في الأول الثانوي، بينما احتضنها عمها الذي يعمل أستاذًا بكلية المجتمع، يدللها كابنته التي تصغرها بعام واحد، بل إنه يحابيها أحياناً أكثر من ابنته، وكانت كثيراً ما تخجل من نفسها، وكم همت أن تصارح عمها بهذه الحقيقة، لكنها تخجل منه كثيراً برغم كونها تتظاهر أنها طبيعية، كانت نحس أحياناً أن عمها أكثر عطفاً عليها من أبيها، بل ويحاول تعويضها عن كل ما فقدته وهو يعلم في قراره نفسه أنه لن يستطيع، وهي تذوب في بحر خجلها منه.

تنظر إلى دبلة الخطوبة التي ألبسها إياها ابن عمها أحمد قبل عامين، تتذكر كيف قبلها أبوها قبلتين واحتضنتها أمها بدموعها الغزيرة، أهداها والدتها وإخوتها العديد من الهدايا الثمينة، وذلك قبل شهر من استشهادهم، أحمد أنهى دراسة الهندسة الإلكترونية بجامعة بيرزيت منذ شهر ونيف، هل يتزوجان؟ أم تكمل دراستها؟ أمان أحلاهما مر، ويا لها من خيارات صعبة.

تخرج أسماء ظهر يوم نجاحها إلى "البلد" لنفي بوعد قطعته على نفسها لأحمد أن تطعمه كنافة نابلسية في أحد أشهر محلات المدينة وذلك يوم نجاحها، تلبس حجاباً وجلباباً أهداهما إليها أحمد يوم نجاحها في الثاني الثانوي، ينظر إلى جلبابها، يبتسم لها، ترد الابتسامة بمنتها، يمسكها من يدها، يتوجهان إلى هناك، يقضيان أجمل الأوقات، يداعب بيده "دبليها"، يغردان كأجمل الطيور، يفرحان وترغد قلوبهما بكل الحان الفرح، ولا يغيب عنها أبوها وأمها وإخوتها، شريط طويل يمر أمامها، تحاول إخفاء ذلك كله عن أحمد، لا ترید أن تعرّك صفو الجو بينهما، يصرّ أحمد أن يدفع، لكنها تقول له:

- أليس هذا وعدك أنك تأكل الحلو على حسابي يوم نجاحي.

- سامحيني

تدفع هي، تشتري صينية كنافة نابلسية لتحلي بيت عمها بنجاحها، تحمل الصينية بيدها، يسيران في اتجاه البيت، يمسكان بأيدي بعضهما البعض

يقران المشي على الأقدام المسافة ليست طويلة، نصف ساعة فقط،
يتحدثان حول بيتهما السعيد، تقول له:

- أحمد ستكون أنت أبي وأمي وأخي وأختي وكل شيء في حياتي، أحكم
جميعا يا أحمد
- وأنا أحبك يا اسماء

دبابات تجتاح المدينة فتتجمم الهدوء إطلاق نار كثيف
نظر أحمد حوله صرخ... أسماء مضرجة في دمها... قذيفة دبابة بعثرتها
أشلاء، ذراعه اليمنى طارت مع أشلاء أسماء، اجتمع المارة، لملموا
أشلاء أسماء، نقلوا أحمد إلى المستشفى، حملوا معهم ذراعه

سيدة عجوز تسكن في الطابق الثاني تسمع الانفجار، تفتح بهدوء باب
شرفتها وترى ويا لهول ما ترى على بلاط شرفتها، ذراع ممزقة
ومضرجة بالدماء تحدق فيها...
إنها يد شابة في مقتبل العمر بإصبعها دبلة خطوبة.

الطفولة العارية

فراش طير له جناحان من نور يحلق بهما في سماء طفولته، فراس يبحر بسعادة في يم من أزاهير ورياحين تتألق به في ربيعه السابع، يرجع من درسته يقفز كالأرانب يمنة ويسرة في بيته الصغير في المخيم. تبحث أمه عنه تارة تحت السرير... وتارة أخرى يختبئ منها في دولاب الملابس وثلاثة يتوارى وراء باب هذه الغرفة أو تلك، ينتظر أن تبحث عنه أمه هنا أو هناك في لعبة يعشقها كل يوم، وحينما يطول انتظاره لها وهو في مخبئه السحيق يقلد أصوات القطط أو العصافير ، كأنما يستحدث أمه للإسراع في البحث عن عصفورها.

تبدأ أمه رحلة البحث، فإذا ما أخطأت الطريق إليه، قفز من عشه المخبوء في دهاليز البيت وزواياه صارخاً:
- واحد/ صفر، أنا واحد وأنت يا ماما صفر
ويسلق على كتفي أمه، وتسير به الأم إلى المطبخ وهو يهز قدميه على ظهرها ويقول:
- هل ترغبين في اللعب مرة أخرى؟؟

ولكنه، وليس كعادته كل يوم، يرجع اليوم من المدرسة مهموماً محزوناً،
تکاد دموعه تتناثر على خديه الورديتين ويصرخ وقد غدا وجهه شاحباً
صفراء:

- أمه هل سمعتِ؟! هل سمعت انفجارات الأمس، اليهود نسفووا بيت
"سلوى" في المخيم الغربي، واحتقرت كل ملابسها ودفاترها وكتبها
وجاءتاليوم إلى المدرسة بلا شنطة وبملابس رقيقة وكانت أسنانها
تصطك من البرد اصطاكاً، وطلبت المعلمة منها أنحضر لها ملابس
وكتباً.

تحضن الأم طفلها، وتتمتم بآيات وأذكار، وتقبله وتحبس في عينيها دموعاً
لو أتيح لها العنان لأغرقت الأرضَ ومن عليها وما عليها، تطبع على
صدره هنيهة، تحسس خصلات شعره أخرى، تصيق الدنيا في وجهها،
تردد في صدرها وعلى شفتيها الحزينتين كلمات:

- يا رب هذا الكون أنت أعلم بدعوني وبما في قلبي فاستجب لي يا الله

يصحو فراس على دمعات من عيني أمه يتسلط على خده الرقراق
ويقول:

- ما هي دعوتك التي لا يعلمها إلا الله يا أمي؟
تحقق في وجهه وقد ظنته نام، تتوجه وطفلاها إلى صندوق به كل ملابسه،
وتقول:

- خذ ما شئت من هذه الملابس لزميلتك "سلوى"

يتناول فراس "بلوزة" شتوية وبنطالاً جديدين، وطاقية من صوف لم يلبسها بعد وملابس داخلية شتوية جديدة، وشمسية صغيرة أهداها إليه خاله قبل أيام،

تكتوي أمه الملابس، تضعها في حقيبة مدرسية صغيرة، يفرح فراس ويقول:

- كل هذا لـ"سلوى" يا أمي

- نعم يا ولدي، وتحاول أن تخفي عنه دموعاً حبيسة في ينابيع ماقبها

في صباح اليوم التالي يحمل فراس على كتفه شنطتين، ويذهب إلى معلمته ويقول:

- هذه الشنطة وما فيها لـ"سلوى"

تضمه المعلمة إلى صدرها، وتحاول أن تبوسه، يحرر وجهه، يرفع كتفيه ليغطي خديه ويختلفى قبلتها، تبوس المعلمة جبينه الرفراق وتقول:

- أنا مثل أمك يا فراس

ترتدي "سلوى" الملابس الجديدة، وتبتسم ولا تسعها الدنيا وتقول لفراس:

- هل ستحضر لي قلماً غداً يا فراس؟؟

يُخرج فراس من شنطته قلماً ويقدمه لها

يعود فراس إلى بيته، ولا تزال كلمات سلوى ترن في أذنيه، ونزلت الكلمات كالصاعقة على سمع أمه ولم تستطع أن تحبس دموعها هذه المرة

خلف أسوار عينيها:

- هل ستحضر لي قلماً غداً يا فراس؟؟

تبكي الأم، ينظر إليها فراس ببراءة الزهور التي تزين ربيعه السابع
ويقول:

- ما هي دعوتك التي لا يعلمها إلا الله يا أمي؟

تستجمع الأم كل جرأتها وتجازف بكل انضباطها والتزامها وتقول:

- دعوتي يا فراس - وتهطل دموعها مدرارا على وجنتيها وترفع يديها إلى السماء عاليا - يا رب هذا الكون من رأى عذابات هؤلاء الأطفال في العراق وفلسطين وأفغانستان من حكام العرب والمسلمين وكل العالم وكان قادرا أن يفعل لهم شيئا ولم يفعل، فلا تجعله يا رب يشم رائحة الجنة.

نظر فراس إليها وانحنى نحو قدميها يقبلهما، ويشم رائحتهما، ويمرّغ خديه فيهما، ويعرضهما حينا آخر، قالت له أمه:

- ماذا تصنع يا فراس؟

- أشم رائحة الجنة، قالت لنا المعلمة:

"الجنة تحت أقدام الأمهات."

هدية شارون

بينما كانت الشمس على وشك أن تتألق وتخرج من عشها وترتدي تاجها الصباغي كانت "غدير" تنفض عن نفسها دفء حضن جميل، تجهز نفسها لصبح جديد فهي اليوم تطرق باب ربيعها العاشر، تصلي لربها ركعتي الفجر، تعطيها أمها بضعة دراهم لتشتري فيما لالقطاط صور عيد ميلادها، تضع بضع قطرات من فنية عطر أهداها لها أخوها "أدهم" بمناسبة عيد ميلادها، تغطى خصلات شعرها وترتدي مريول المدرسة، تحمل حقيقتها الجديدة المزينة بالعلم الفلسطيني، ترسم قبلات عدة على وجوه إخواتها وأخواتها ثم تلثم خدي أمها مرات عدة وهي لا تحتمل فراقهما.

تطرق زميلاتها الباب كعادتهن كل صباح، تخرج إليهن وقد علت وجهها ابتسامة تحسدتها عليها غزالات وحساسين

- انتو اليوم معزومات على حفلة عيد ميلادي
- واحنا جهزنا لك أحلى هدية وخليناها مفاجأة
- استنفت كاميلا خالي "أبو طارق" وماما راح تحضر أحلى كعكة.

سارت الزهارات في طريقهن إلى المدرسة، يسرعن في المشي تارة، وبيطئن أخرى، و قطرات الندى تغسل جباههن الرقراقة كالنسيم، والشمس ترسل باكورة أشعتها الصباحية لقبل أجمل الوجوه التي تبتخر على الأرض التي بارك الله فيها وحولها.

ينظرن إلى أبراج المراقبة التي يعتليها جنود الاحتلال وتشرف على المخيم، الجنود يطلقون النار في كل اتجاه وفي كل وقت، وأهل المخيم اعتادوا على أصوات الرصاص والقاذف والهدم والصراخ العبري الحاقد الدبابات تروح وتجيء وهي تطحن الأرض طحناً وتثير في مؤخرتها دخاناً وغباراً يعمي العيون ويزكم الأنوف.

غدير تحطم في عيد ميلادها العاشر، ترقص في مشيتها وتغني، تغنى معها وخلفها زميلاتها في تناغم وتناسق كما القمر والشمس والنجوم، تشاركن التغريد طيور الصباح، وججاجات المخيم التي أصبحت تبحث عن بضع حبات من شعير أو قمح أو ذرة تضعها لها الجدات والأمهات أمام البيوت المتهالكة، أو على أسطحها المعدنية أو الإسمنتية حيث تطير الدجاجات وتنقاوْف نحو حبات القمح المنتاثرة.

هاهن العرائس الجميلات والحوريات في عمر الزهور على مشارف المدرسة، تقول لهن غدير:

- أو عاكن تروحوا وتتركوني بدبي اشتري الفيلم من أستوديو القدس.

- ما فينا حدا يسترجي يروح من غيرك

إطلاق نار عنيف وشديد من جهة أبراج الاحتلال ... تهرب الزهرات كل في اتجاه، بعضهن إلى المدرسة وبعضهن خلف الجدران... تجري غدير لكن الرصاص أسرع... تدرج غير على الأرض، يسيل دمها كغدير على الأرض، يأتي "جيب" عسكري مسرعا نحو غدير، ينزل منه الضابط وبيده سلاحه، ينظر إلى الطفلة المضرجة بدمها يرجع إلى الوراء قليلا يصوب سلاحه نحوها، يفرغ في جسدها النعاعي خزنة رشاشه كاملة يمتلي "الجيب" ويغادر. يعلن راديو إسرائيل أن طفلة قتلت في مخيم رفح وقد كانت تتوي تتفيد عملية "انتهارية" حيث كانت تحمل على ظهرها شنطة متفرقات، وإلى هنا وينتهي الخبر.

وتتبين أن الشنطة لا تحتوي إلا على كتب وأفلام ودفاتر و(ساندوتش)، وقرر جيش إسرائيل التحقيق مع القاتل، والذي ثبت أنه أطلق النار على غدير.

تمت محاكمته أمام محكمة عسكرية وقررت المحكمة عليه بالسجن لمدة "شهر" مع وقف التنفيذ فكانت هدية "ملك إسرائيل" لغدير في عيد ميلادها.

* إلى طفالات من النعناع والريحان قتلن: غدير مخيمير، إيمان الهمص، وإيمان حجو

الوحـل الأسود

أوت العصافير إلى أوكرارها، والأطفال إلى أحضان أمهاتها، وراجع أحمد دروسي وحل واجباته، طبع على خدي أمه قلبتين ورديتين أحس بطعمهما في قلبه وكأنه لم يقبلها أو قبلها قبل ذلك قط، وذهب إلى غرفة جدته لينام على صدرها الملائكي الوفور.

حمل في يده طبقا من ثمار التين الأخضر والأسود من شجرتي تين غرسهما جده قبل نيف وخمسين عاما من عودين حملهما معه من "برير"

في يده الأخرى إبريق الفخار المملوء بالماء وضعه على باب الغرفة من الخارج كي يبرد وتتطهر قطرات الندى ليصبح مأوه أحلى من العسل ... هكذا علمته الجدة الشامخة الراسخة.

كانت جدته قد أنهت لتوها صلاة العشاء، نادت عليه وجلس في حضنها
- حليت واجبك يا أحمد؟

- نعم يا جدتي
- أكملت حفظ سورة تبارك يا ولدي؟

- نعم يا جدتي
- سمعني إياها يا حبيبي

نهض أَحمد من حضن جدته، توجه نحو القبلة وجلس كهيئة جلسته للصلوة وبدأ يقرأ بصوت ملائكي رخيم "تبارك الذي بيده الملك.." أنهى تلاوة السورة، قبّلته جدته، عاد إلى حضنها كما الفراشة إلى عشها، شرعت جدته تقرأ عليه أدعية خواتيم صلاتها لساعة أو بعض ساعة والتي تختتمها دوماً "باسم الله أرقيك.."

ما إن انتهت من قراءتها حتى كان أَحمد قد غرق في نومه، عذلت له وضعه، وضفت وسادته تحت رأسه هكذا ومنذ سنوات تعود أَحمد أن ينام حتى أصبح يحفظ عن ظهر قلب كلام الجدات عن التين والزيتون والبرنفال والعنب.. عن الهجرة والدم والشهداء والحلم والأمل.. عن فلسطين القدس والعرب وأمريكا وأوروبا، قاموس سياسي وكل مصطلحات السياسة أضحت خميرة في دماغه اليافع، هذا هو أَحمد وهذه هي جدته.

تمسّك عصاها بشموخها المعهود، ورسوخها وعظمتها، تتجه إلى باب الغرفة وتغلفه، وتدور فراشها ليتواءم مع فراش أَحمد، فيكون في حضنها وتصفع يدها على رأسه وهي تقرأ ورد نومها، سكنت الدنيا وسكن الكون وأسلمت الجدة نفسها لبارئها "أسلمت نفسي إليك"

ضجيج يأتي من الجهة الغربية للمخيم حيث تجمّع مغتصبات غريبة فوق السوافي، دبابات وجرافات تتقى مكبات صوت تصرخ، وبكلمة غير "عربية":
- كله يطلع من البيت... شوية وراح ننسف البيت"

- منوع إخراج أي شيء من البيت
- خمسة دكينة (حقيقة) وراح ننسف البيت

هدير دبابات يختلط بأصوات أجهزة الإرسال ومكبرات صوت لعينة
ناطقة بعبرية دخلة على الرمل والهواء والندى وضوء القمر.

صحا أبو أحمد من نومه، أخذ يدور في البيت كالمجنون، من غرفة إلى
غرفة، ليقط أو لاده، ذهب بسرعة البرق إلى غرفة والدته، وجدها تمساك
أحمد في يد عصاها اللوزية في اليد الأخرى وتمتم بكلمات ودعوات:

- يا حي يا قيوم أغثنا
- قصدنا بابك فلا تطردنا من رحابك
- يا رحمن يا رحيم

يزداد صراخ الجنود المدججين بالسلاح والحد الأسود والرابضين في
بطون دباباتهم وأعناق جرافاتهم
- واحد دكينة وننسف البيت

لم يستطع أبو أحمد وأبناؤه حمل شيء معهم إلى خارج البيت المحاصر،
خرجت الجدة العجوز تتوكأ على عصاها وعلى كتف "أحمد" وتقول:

حسبي الله ونعم الوكيل
تحركت الدبابات إلى الأمام وإلى الخلف قليلاً،
ثلاث منها هبطت بهن الأرض في آبار المجرى

نفق العراة

كانت السلفاة تتبختر في شمس الصباح بين الحشائش والأعشاب
الحضراء، وما زالت بقايا عروقٍ من ندى لم تلتهمها الشمس بأشعتها
الراقصة، تتمتد العروق كخيوط فضية تطهر جسد السلفاة من غبار علق
بها بعد يوم عمل شاق، تتعمد المشي في أماكن تكثر بها درر الندى،
تحتسي على مكث كأساً من عصير الندى أو كأسين، تصطاد بعض
فراشات وهي في طريقها، تأكلها باطمئنان ولا تنسى أن تذكر اسم الله
عليها

وقفت على باب نفق صغير مظلم مكفر، مدّ رأسها إلى داخله متوجسة
بعض الشيء، حدقت بعينيها يمنة ويسرة.. رأت
ويا لهول ما رأت
خمسون أسادا
عراء حفاة كيوم ولدتهم أمهاتهم
يجلسون على كراسي من حجارة بالية متهدلة تعيث بها ديدان الأرض
أيديهم مقيدة بسلاسل من حديد وراء ظهورهم وتمتد منها سلسلة تحيط
بالعنق
وأرجلهم مقيدة بسلاسل تتصل بالسلاسل العليا

وتفوح منهم رائحة عرقٍ كريهةٍ نتنة
كادت هذه الرائحة أن تخنق السلفافة، ولكنها ولعنةٍ
داست على البساط (الأحمر)
دخلت النفق
تفرست وجوههم
عرفتهم واحداً واحداً
رأيت وجوههم يرھقها ذلٌّ لم تره على وجه مخلوقٍ طيلة سنين عمرها
الممتدة عقوداً

- ألستم أنتم ملوك هذه المملكة والممالك المحيطة؟؟؟
- نعم
- وكنتم ترفلون بأجمل الثياب وأزهى الألوان والطعام والشراب
والطيب؟
- نعم
- وماذا تصنعون هنا؟
- علينا أن نمكث في هذا النفق أربعين يوماً على الحال التي ترين
ولماذا؟
- نقدم صكوك الولاء لتباركنا الآلهة حتى نحافظ على كراسى المملكة!!!

الجذور

أرسلت الزيتونة جذورها إلى أعمق الأرض ، أمدتها بكل ما تحتاج إليه من غذاء وماء ، وقالت لها :

إذا نقص عليك شيء فتدبر أمرك في الأعماق
هناك الحديد والنحاس والكبريت والفوسفور
ومليارات من الكائنات الدقيقة وغير الدقيقة
كلها طوع أمرك إذا ما نجحت في تسخيرها
واحدري من الأعداء هناك فهم كثيرون
لا تستعجل المعركة معهم

ردت الجذور :

- وكيف نعمل في الظلام؟
- لا تكتري فالظلم ينلادي أمام نور الصدق والعزم والإخلاص

غرست الجذور مخالبها وأظفارها في الأرض وبدأت تعمل بدأب

أغار الأعداء على أوراقها والأغصان، أكلت الأعداء معظم أوراقها
ومرّغت الباقي في التراب، كسرتُ الأغصان وصنعت منها تماثيل وآلهة
يعبدونها، صنعوا منها بيوتاً وعرشاً فيها يسكنون وينامون.

تشبثت الأغصان بالحياة، استمرت ترسل للجذور بعضاً من ماء وبعضاً
من طعام
أرسلت رسالة إليها:

- الحفني أيتها الجذور يكاد العدا يقتلوني
لم ترد الجذور لانشغلها في البناء الجاد، أفضّلت في العمل ليلاً نهاراً
ودونما هوادة أو تكاسل
حشدت حولها آلاف الأنواع من البكتيريا والكائنات الأخرى
صنعت من الحديد سيفاً
ومن النحاس موصلات للطاقة وأنية للحاجة
ومن الكبريت ثاراً
ومن الفوسفور قنبلة
خاضت معارك طاحنة ضد الأعداء في باطن الأرض
انتصرت عليها وأفنت جذورها

كانت الجذور على آخر من الجمر لخوض معركة السطح، تنتظر ساعة
الصفر
أرسلت فريق استكشاف إلى السطح
وجد الفريق أن الدنيا قد تغيرت

ومعالمها تبدلت ولم يعد على الأرض شيء مما كان

عاد الفريق إلى قيادة الجذور تحت الأرض
أعدت الجذور نفسها
وحننت قواعدها
وزرعت مهام العمل
ما بين فوق السطح وتحته

صعدت الجذور إلى السطح... يشع منها نور الزيت المبارك
احترق الأداء وما عرشا
وهربت الصعاليك لأنما فرت من قسورة

تنفست الباقيات من الأغصان جميل الهواء
وسألت:

- أين كنت أيتها الجذور والباطل في عرضي وكرامتني يعربد
- كنت أجنت الباطل من أساسه

الطاحونة

جلست جدتي "أم أحمد" كمليكة بثوبها الفلسطيني المطرز، تضع على رأسها قطعة من شاش أبيض تبدو وكأنها ناج يشع نورا فتملاً أزقة المخيم رونقا وبهاء، تحمل على كتفيها سبعين خريفا أو يزيد قليلا، يتجمع حولها أبناؤها وأحفادها الذين جاوز عددهم المائة، يقلون يديها وخدبيها ويتركون بالنور الذي يسطع من وجنتيها.

يأتي لها الأقارب والجيران بأبنائهم المحسودين والمرضى والخائفين فقرأ عليهم "آية الكرسي" وبعض ما تحفظ من مأثورات، وتمرّجهم بزيت الزيتون المقوء عليه لثلاثة أيام عند طلوع الشمس وقبيل الغروب فيشفي الأطفال بإذن الله.

تربع أمام بيتها الثالث في مخيم جباريا على جاعد وثير من جلد خروف ذبحة ابنها البكر في آخر عيد أضحى، وإلى جانبها مصحفها الكبير وعصا لوز تتوكاً عليها أو تهش بها على أطفال الجيران وأحفاد قد يضايقونها أحيانا، تمسك اليد الخشبية للطاحونة المصنوعة من صخر "البلاد" - بتسكين الباء - كما يحلو لها التغنى بها دوما، حتى أصبحت الطاحونة جزءا لا يتجزأ من حياتها وكأنها دمها الذي يجري في العروق

وهي تدور الطاحونة بيدها اليمنى ويدور أمام ناظريها شريط حياتها الطويل، من نكبة إلى نكبة ومن هجرة إلى هجرة ومن حزن إلى حزن، بحار من دموع وجبار من أحزان تمر أمامها مثل فيلم وثائقي. تملاً قبضة يدها اليسرى عدسًا أو قمحًا وأحياناً بعضاً من فول لطحنها مقابل دريهمات تسد بها رمق الحياة

ما زالت الطاحونة على عهدها تعمل بكل أمانة وإخلاص، وهذا هو رمضان يأتي فيزداد ضغط العمل عليها، وقبيل الأذان بساعة أو بعض ساعة تترك يد الطاحونة لتثلو ما شاء الله لها من كتاب ربها، وتحسدها جاراتها اللاتي في عمرها، إنها الوحيدة بينهن التي تحسن القراءة. ولا تنسى دعاءها الذي لا تمل من ترديده "اللهم اقضني إليك شهيدة... اللهم اقضني وغبار الأرض على قدمي.."

يتطلق حولها صبية المخيم يستمعون لحكاياتها ويدورون حولها كما الرحي وأحياناً يدورون مع الرحي حتى يدخل بعضهم وي فقد وعيه لحظات ملقياً جسده إلى جانبها، أو هكذا يدعون شاعرين بنشوة الدوخة كمن يمارس أحب الألعاب إلى نفسه، وتتفاوز حولها عصافير المخيم تلتقط ما تثار من بقايا حبوب حول الطاحونة، تحدثهم فتصغر العصافير إليها كما الأطفال: - لقد ورثت هذه الطاحونة عن جدتي

وكم ربّي قمحها وعدسها وفولها رجالاً لا يضاهيهم رجال لقد كان المجاهدون يأتون عند جدي في ساعات السحر وكانت أسمع همساتهم وأنظاهر أني لا أفهم شيئاً منها آآه كم أكل فرحان السعدي من فريكة خرجت من هذه الرحي

وما زلت أذكر -كما أراكم- كيف كان والذي يحمل الخبز والجبين
والزيت

للمجاهدين في الأحراش

- وأين كانوا ينامون يا جدة؟؟؟

- كانوا لا ينامون، وإذا ناموا فتحت الأرض، سمعتهم يتحدثون عن عز الدين القسام، كم أحببت أن أراه وأن تكتحل عيناي بشعاع من نور يخرج من لحيته الوضاءة،
يقاطعها طفل شفي:

- وهل كان معك بارودة يا جدتي؟

تنظر إليه وترمييه ببقايا عدس في يدها

يتراقص الأطفال يجمعون حبيبات من عدس ويزدردونها ازدرادا
تقول لهم:

- انركوا للعصافير شيئاً

- كان بيتنا الأول في المجدل

- إذن أنت مجدلاوية

- ابتعد عني وإلا ضربتك بهذه العصا

وتمد يدها إلى عصا اللوز بجانبها.. يهرب الأشقياء وتستمر في حديثها

- وكان بيتنا الثاني في مخيم رفح بعد الهجرة

- ولماذا جئت إلى جباليا يا جدتي؟

- لقد هدموا بيتنا في رفح قبل أيام، حسبى الله ونعم الوكيل... وتحبس في عينيها دموعا تحاول إخفاءها إلا أن عينيها تخونانها وتسكان الدمع
مدارا

تجمعت العصافير وتلتقط حبوبًا من حولها، وبها من عصافير جريئة،
تقرب منها، وتلتقط بعضاً من الحب المطحون

- لماذا يا جدي تضعين العدس ببني ويخرج من الطاحونة برئالي؟

- الطاحونة تلونه أيها الشقي

- وهل بداخلها علبة ألوان؟

- نعم

- هل هناك ألوان أخرى غير البرتالي؟

- نعم هناك اللون الأصفر والأبيض والبني لتلوين الفول والقمح والشعير،
وهي ألوان "الفريكة" و"البرغل" و...

- هل هذه ألوان خشب أم ماء؟؟؟

تتناول كأساً من الألومونيوم إلى جانبها وتسكب ما به من ماء على الشقي
الذي لا يكفي عن الأسئلة، يهرب وقد ابتلت ملابسه بالماء، يجري وراءه
الأطفال وينشدون

"شاييفن أحمد ما له...عامل على حاله"

دار الأطفال دورتهم، وعادوا فوجدوا جدتهم منحنية على الطاحونة لأنما
هي قبلها، نصف وجهها يستنقى على الطاحونة، والنصف الآخر يستنقى
على مصحفها ذي الأوراق الصفراء، نادوا عليها، صرخوا، الجدة لا
تترك، تقبل المصحف وكذا الطاحونة المصنوعة من حجر "البلاد"
نظروا...

بقطنان من نور دمها ترتكشان كتاب ربها، وبقعة ثلاثة ترسم خطأ
متعرجاً على الطاحونة... يمشي ببطء ليتسلى إلى عدسها المطحون
ورصاصة غادرة اخترقـت رأساً يحمل سبعين خريفاً من الحزن

دم العرائس

في وادي الفراش "المقدس"، تعيشآلاف من الفراشات، في مودة ومحبة وصفاء ونقاء يخرجن معا للعمل في الصباح عند أذان الندى بصوته الرخيم، تعكس صداح شقشقة الطيور العاشقات نور السماء، ويعدن قافلات في المساء، وقد جمعن من الطعام ما يكفيهن وصغارهن والمرضى والمعدين، يصلين العشاء في مسجدهن فوق شجرة "الجميز"، ويقمن الليل في مصلى هادئ وجميل أنشأته فراشة عجوز على قمة "زيتونة" لها من العمر مائة عام أو يزيد، وذلك قبيل ذهابها إلى مكة المكرمة لأداء "العمره" في شهر رمضان، حيث ماتت هناك ودفت بجوار الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم جميعا-

اجتمعت الذئاب في عش الدبابير، وقررت التوقف عن أكل لحم الشياه وشرب دمها وذلك لأسباب ثلاثة:-
أولها: أنها سئمت هذا النوع من اللحم والدم.
وثانيها: أنها ترغب في التغيير والخروج من رتابة الحياة.
وثلثها: رغبتها في مد حدود إمبراطوريتها إلى ما وراء البحار.

تناقشت الذئاب طويلا في البدائل، قال ذئب منهم:

- ما رأيكم في شرب دماء العصافير؟
- لقد جربته يوما ولم استسغه
- إذن دماء النحل؟
- لقد حاولت يوما، لكن نحلة لعينة لسعتي في جفني الأيمن، وما زلت أعاني من حَوْلٍ فيها
- ما رأيكم إذن في دم الفراشات الصغيرة؟
- آهـ إنه من الأذنـواع الشرابـ، لقد دعاني "شعبان" يومـا على حفلـةـ
كانـ فيهاـ هذاـ الدـمـ هوـ المشـروبـ الرـئـيـسيـ، ماـ زـالـ طـعـمـهـ الرـائـعـ فـيـ فـمـيـ
- إذـنـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـذـهـبـ إـلـىـ وـادـيـ الـفـرـاشـ، وـنـقـفـ أـمـامـ المـدـرـسـةـ الـابـدـائـيـةـ
وـنـحـاـصـرـهـ وـنـصـطـادـ الـفـرـاشـاتـ الصـغـيـرـةـ لـنـيـذـةـ الطـعـمـ

أعلن زعيم الذئاب "المنتخب" ديمقراطيا، التعبئة العامة بين "جنوده"، واتجهت الطائرات والحاملات والدبابات والجرافات لتحاصر مدرسة الفراشات الصغيرة، اصطادوا العشرات منها، قتلوها بدم "بارد"، وضعوها في ثلاجات لحفظها، أحرقوا المدرسة عن بكرة أبيها، أصبحت الأرض قطعة من فحم أسود، احترقـتـ الزـهـورـ وـالـوـرـودـ الـتـيـ كـانـتـ تـزـينـ المـدـرـسـةـ
كلـوـحةـ رـائـعـةـ يـأـتـيـ إـلـيـهـ السـيـاحـ مـنـ كـلـ حـدـبـ وـصـوبـ.

حققت الفراشات الطائرة في السماء في عيون الذئاب الماكـرةـ، حملـتـ صغارـهاـ فـيـ أحـضـانـهاـ، وـمـرـضاـهاـ فـيـ سـلـالـ منـ الـبوـصـ عـلـىـ أـكـافـهاـ،
وـ"ـمـرـجـونـةـ"ـ الـخـبـزـ مـعـلـقةـ فـيـ جـيـدهـاـ...ـ لـحـقـتـ بـهـ طـائـرـاتـ "ـالـذـئـابـ"ـ الـلـعـيـنـةـ
قـتـلـتـ وـأـحـرـقـتـ مـنـهـاـ عـدـدـاـ غـيـرـ قـلـيلـ.

أفاقت بعض الفراشات من بطش "العدو" وناره السوداء الحاقدة، اختبأت في أنفاق تحت الأرض بين "ظلمة الدنيا" و"نور إيمانها" بعدلة قضيتها وقداستها وطفقت في لملمة صفوتها وجراحتها صنعت صواريخ بدائية جداً من بقايا المعدن والورق والكرتون، أجرت عليها التجارب نجحت في إطلاق بعضها على الذئاب في عش الدبابير، احترق العش وملاً دخانه النتن صفة السماء، هربت الذئاب والدبابير إلى عالم المجهول لا تلوي على شيء.

عادت الفراشات إلى مسقط الرأس في وادي الفراش "المقدس" وهي تنشد نشيد العودة والوعد الموعود وتزرع "سورة الإسراء" في رحم الورود وتنمو النعناعات بoward "غير ذي زرع" من جديد.

* إلى الطفلات البريئات (إيمان الهمص، وتغريد مخimer وغيرهما) واللاتي قتلن غdra وهن في طريقهن إلى مدارسهن أو على مقاعد الدراسة

وردة حمراء

رفعت عينيها نحو الشمس وألقت إليها بوردة حمراء، طارت الوردة في عنان السماء على جناحين صنعتهما من طين الأرض المعجون بدم أختها التي استشهدت بالأمس وهي تجلس على مقعدها الدراسي، وصرخت بصوت سمعته كل الدنيا:

- أيتها الشمس أرسلني لي مع هذه الوردة حزمة نور وحزمة نار
- انتظري قليلا

سارت في اتجاه مقبرة الشهداء

وضعت الوردة الثانية على قبر أختها، جلست بقرب القبر تقرأ سورة "يس" على روح أختها التي لم يزل دمها الطاهر رطبا نديا يبلل ثرى الأرض بمسك لم يشم أهل المخيم أطيب منه قط، وتدافع الجميع كل يود أن يحتفظ بحبة رمل معبقة من دم "إيمان"، بينما هي كذلك تسرح في سماء الدم الذي المتاثر فوق جداول "إيمان" التي تداعبها نسمات بحر يشهق ويزفر بغضب لم يشهد أهل المخيم من ذي قبل مثله ما زالت تقرأ بدموعها آيات "يس"

حطت أمامها الوردة التي أرسلتها قبيل قليل للشمس، تحمل على جناح نورا، وعلى جناحها الآخر حزمة نار، أمسكت الوردة من جناحها الأيمن فصارت الوردة نصفين، قبلت الوردة الطفلة قبلتين على الجبين، فاح

عيير من الوردة ومن القبر، انطلقت شعلة نار نحو الموقع العسكري على حدود "رفح"، الذي اغتيلت منه "إيمان"، انطلقت من قبر أختها شعلة أخرى، صرخت "الله أكبر"

* إيمان الهمص التي قتلت بدم بارد، وأفرغ في جسدها التعناعي بعد موتها مخزن رشاش كامل في رفح، وهي تبلغ من العمر عشر سنوات، وبرأت المحكمة العسكرية الصهيونية الضابط الذي قتلها.

العار

في غابة جميلة، يقطعها نهر طويل يتمايل بين أشجارها، تمام الغزالت البريئات ليلهن، وبالنهار يسرحن بين الورود والرياحين، ويجمعن الطعام ويرضعن الأبناء والأحفاد، شيدت الغزالت مسجداً مشيداً وعامراً، كن يؤذين فيه الصلوات كلها شكر الله وتقرباً إليه كن يجتمعن في هذا المسجد لقضاء حوائجهن وحل مشاكلهن، وكانت "حكيمتهن" تتفقدهن دوماً وتزورهن في أوقات المرض والمناسبات الاجتماعية، وكانت الغزالت كلها، تحترم "الحكيمة" ويدينون لها بالولاء والطاعة.

صار مجتمع الغزالت نموذجاً رائعاً للمجتمعات المجاورة من حمير وذئاب وطيور وغيرها وأصبح هذا المجتمع "بحكيمته" يمد يد العون إلى الجيران ويقدم لهم كل مساعدة ممكنة.

اغتاظ مجتمع الحمير والذئاب من مجتمع "الغزلان" وحكيمته، ورأوا أن الحكيمية قد أصبحت تسيطر على الغابة كلها... جلس الحمير والذئاب معاً في مؤتمر "قمة" واتخذوا عدة قرارات كان أهمها "تفريق مجتمع الغزلان" والقضاء عليه

قال كبير الحمير: مهمتي أن أرسل عشرة حمير من عندي ليعيثوا في مراعي الغزلان ويبولوا في "مسجدهم"

رد كبير الذئاب قائلاً: وأنا أرسل عشرة من الذئاب في الصباح فیأكلوا
الغزالات الصغيرة ، بينما تكون الغزالات الكبيرة خارجة في المراعي
رد عليه كبير الحمير: وأنا لي أصدقاء من الغزلان سوف أدعوه للتمرد
على "الحكمة" وهكذا نطبق مبدأ "فرق تسد"
في الصباح كانت الغزلان الخائنة تقود قطعان الحمير والذئاب ويعيثون
فسادا في غابة الغزلان وبيوتهم ومسجدهم، كانت "الحكمة" كعادتها
تتجول في الغابة مع الغزالات الرضيعة، ورأت القتل والتدمر، حاولت
الدفاع عن الغزالات الصغيرة، استمانت في القتل، أحاطت بها الذئاب من
كل جانب، غرزت مخالبها وأنابيبها في جسد "الحكمة"
صرخت الغزالات الصغيرة في وجه الغزالات الخائنة:
- عارٌ عليك.

لوغاريتم النور والبعد العاشر

سأّل "الخوارزمي" الشّمس يوماً: كم من الأبعاد لك؟

قالت: ثلاثة كما هي كل الأجسام في "الفراغ"،

قال: لكنني أرى هنا عشرة أبعاد،

قالت: هذه هي أبعاد "الوهم" ،

قال: وما علاج الوهم؟

قالت: الاستئصال،

قال: وأي بعد هذا الذي نحن فيه؟

قالت: بعد الثالث للوغاريتم العاشر (10)

قال الخوارزمي للشّمس: لكن الوهم لا أبعاد له، فهو جسم هلامي لا يُعرف له "كوع من بوع"، ولا تصلح لقياسه كل طرق ووحدات القياس الدولية المعروفة، والتي أقرتها اللجان العلمية بـ"بـهـيـةـ الـأـمـمـ وـمـنـظـمـةـ الـيـونـسـكـوـ، حتى اكتشافـاتـ "أـحمدـ زـوـيلـ"ـ لا يمكنـهاـ قـيـاسـ أـبعـادـ "ـالـوـهـمـ".

قالت الشّمس: يعتمد ذلك على الزمان والمكان والناس، والناس هم الذين يضعون حدود "الوهم"، أو يلغونه من حياتهم تماماً حتى لا يعود له من وجود بينهم، تذكر أيها العالم الفذ أيام فتوحاتكم، هل كان لدى قادتكم وأمّتكم "أوهام"؟

رد الخوارزمي: أدركت الآن أيتها الشّمس "جـبـالـأـوـهـامـ"ـ التي تعيش فيها أمّتي اليوم!!

وقف الخوارزمي على باب مدينة "بيـتـ المـقـدـسـ"ـ وـسـلـمـ عـلـىـ زـيـتونـةـ هـنـاكـ.

قالت له الزيتونة: اشتقت لأيامك، تصور أنني احتاج الآن لتصريح حتى
أؤدي صلاة الفجر في الحرم !!
تهد الخوارزمي وقال: وأين سيفكم؟
قالت: في جرابه يأكله الصدا !!

قال الخوارزمي: رافقيني إذن، أمسكها من يدها، قاس طولها وعرضها
وارتقاعها وجذورها وزواياها، أجرى عمليات رياضية معقدة...
نظر إليها.

قال: هل تستطعين رؤيني الآن؟؟
نظرت إليه. قالت: لا أراك، ويحيى، هل أصبتُ بالعمى؟؟
قال: على رسلك سيدتي، لقد أصبح جسمك الآن من نور.
سارا معاً، اخترقا عشرات الحاجز، وصلا إلى ساحة الأقصى وصليا
الفجر خلف صلاح الدين الذي كان يقوم الليل هناك، وصل الخوارزمي
إلى "قاهرة المعز" ممتطياً اللوغاريتم العاشر، حط في مسجد "الحسين"،
صلى ركعتين، سار على قدميه إلى الجامع الأزهر، صلَّى الفجر وسأل
عن "القطز"

قالوا له لقد ذهب للحج هذا العام
نظر إليهم، رقمهم وفي عينيه ألف سؤال وسؤال
قالوا بإمكانك أن تقابل "عمرو موسى" أمين العرب اليوم
توجه إلى "جامعة الدول"
قالوا له: ذهب إلى "أمريكا" لبحث قضية "الشرق الأوسط".

وردة وحجر

تعودت أن يرجع إليها ابنها محمد كل يوم بوردة حمراء من المدرسة تعطيها له معلمه مكافأة على تفوقه، فصارت الأم تنتظر هذه الوردة على آخر من الجمر، تقف على باب المنزل ساعة أو بعض ساعة قبيل موعد عودته، تخيله وهو يقبل يديها ثم يتسلق على صدرها ويقبل خديها وجبيتها، ثم يخرج وردة حمراء من حقيبته، يضعها كالناتج على جبيتها، وقد علمته أن يثبتها في شعرها حتى تبقى بقية النهار تزين خصلات شعرها المسترسلة على جبيتها، ويمكث بعد ذلك وقتاً غير قليل متسلقاً على صدرها ويمازحها قائلاً:

- أرضعني من حليب صدرك

- كفاك شقاوة

- ما أجمل الشقاوة على صدرك وفي حضنك يا أماه

- لقد كبرت يا ولدي، عيب، بلاش يشوفك الجيران

- قد ما أكبر راح أبقى طفلاً صغيراً بين يديك

تضحك، وتسرير به في بهو البيت وهو لا يزال متعلقاً بصدرها والوردة تزين جبيتها، تقلبه قبلتين، ينساب بهدوء عن صدرها

- لماذا فعلت يا ولدي في المدرسةاليوم؟

- الأول في الحساب والعربي والإنجليزي ودخلت هدفين في حصة الرياضة، ورسمت في حصة الرسم مدفعاً سقطت به طيارة الأباتشي اللي بتعتقل الشهدا يامه

ويخرج كتبه ودفاتره من حقيبته، لترها أمه واحداً واحداً تقبله مرات ومرات وهي تنظر فيها، تمسح دموع فرحتها عليه، وتقول:

- يا الله اكير يا محمد علشان نفرح فيك أنا وأبوك وإخوتك وأعمامك وأخوالك والحاره كلها

- ما هو أنا كبير يامه، أنا عمري عشر سنين

- لسه بدننا اياك تكبر كمان

وبينما هي تسرح في شقاوة ابنها، وتنتظره على باب البيت، سمعت ضجيجاً وصخباً يقترب منها، واقترب منها أطفال صغار في سن محمد ومن مدرسته، وقال أحدهم:

- محمد استشهاد يامه اليهود طخوه في المظاهرة ونقطه الإسعاف للمستشفى

- اللهم اجعله خيراً يا رب

أسرعت الأم إلى المستشفى، والذي يبعد عن بيتها خطوات قليلة، وهي لا تدري ما الذي يجري حولها، وما الذي سمعته، وصلت المستشفى، كان هناك شهداء وجراحى وسيارات إسعاف وأطباء وممرضون ومواطنون، سألت:

- من الشهداء؟

- طفل في العاشرة

- أين هو؟

- من أنت ؟

- ربما أكون أمه !! لا أدرى !!

قادها طبيب إلى حيث الطفل الشهيد، نظرت إليه !! صرخت

- محمد ابني حبيبي روحي

وانهالت عليه، تقبله وعيناها تزفان الدموع، أغمي عليها أجرى الطبيب

ما يلزم لها، لتعود إلى وعيها،

صحت، وجدت حقيقة محمد إلى جانبها، فتحت الحقيقة، وجدت الوردة

الحمراء بين دفاترها، أخذتها... قبلتها،

ذهبت إلى حيث جثمان ابن الشهيد، قبلت وجنتيه وجبينه، وضعت

الوردة على جبينه،

أمسكت يده اليمنى لتقبلها، وجدته يشد على حجر بكفه.

نور وظلام والبعد العاشر

(1) هجوم النور

صحت من نسمات نومها، نظرت حولها، ظلام دامس يملأ الأرجاء،
احست بوحشة الوحدة، أغمضت عينيها باحثة عن بقايا نوم في سلة
أحلامها الوردية، حاولت التزلج على جليد النعاس، لم تستطع الوصول
إلى الهدف، قفزت من سريرها الغاضب، فتحت النافذة، وجدت حمامـة
صغيرة تبني عشا لها من أغصان الزيتون، هجم النور من النافذة مارـا
بعـش الحمامـة، وبـدد الظلامـ، تفـست وبـشراـهـة نـسـائـمـ الـحـمـامـ وهي تـبـحـثـ
عن الـبـعـدـ الـعاـشـرـ.

(2) حبة رمل

مشـتـ على شـاطـئـ الـبـحـرـ الـذـهـبـيـ، أـوـقـتـهاـ مـوجـةـ ذاتـ عـيـنـيـنـ زـرـقـاوـيـنـ
وـسـأـلـتـهـاـ إـلـىـ أـيـنـ؟ـ؟ـ قـالـتـ:ـ فـيـ أـرـضـ اللهـ،ـ أـبـحـثـ عـنـ رـمـلـةـ ضـاعـاتـ!!ـ قـالـتـ
المـوـجـةـ وـهـيـ تـرـسـمـ عـلـىـ شـفـتـيـهاـ اـبـتسـامـةـ:ـ وـكـلـ هـذـاـ الرـمـلـ لـاـ يـكـفـيـكـ!!ـ لـقـدـ
أـمـضـيـتـ آـلـافـ السـنـيـنـ وـأـنـاـ أـجـمـعـهـ،ـ قـالـتـ:ـ اـبـحـثـ عـنـ رـمـلـةـ لـهـاـ قـبـةـ ذـهـبـيـةـ،ـ
قـالـتـ المـوـجـةـ وـهـيـ تـرـشـ رـذاـذـهـاـ الـمعـطـرـ عـلـىـ الشـاطـئـ:ـ رـمـلـتـكـ تـلـكـ حـلـمـهـاـ
ـمـرـوانـ إـلـىـ الجـبـلـ وـهـيـ تـبـحـثـ عـنـ الـبـعـدـ التـاسـعـ.

(3) نفط

استيقظت البرتقالة من نومها في آذار، بحثت عن جارتها الزيتونة، لم تجدها، صرخت بأعلى صوتها: أين جاري؟؟ ردت عليها العصافير الحزينة: استشهدت قبل أيام، حيث اجتثتها جرافتان من صناعة أمريكية تعاملن بنفط عربي على امتداد البعد الثامن.

(4) دوده من عوده

مر ذئب بالأرض العربية، وجد الفقر والجوع والمرض والقتل وأمريكا يسيطرون على كل شبر فيها، نزلت على خده دمعتان، قال: ألا يعرفون الدواء؟ ردت عليه غمامه في السماء: بل يعرفون، قال الذئب ولماذا يسكتون؟ قال البحر: "دوده من عوده" أيها الذئب وابحث عن الباقي في بعد السابع.

(5) صهيل السيف

وقف "خالد" على نهر اليرموك، ولسيفه صهيل نحو الجنوب، سأله خالد السيف: ما هذا؟؟ قال: سيأتي بعدهم قوم يشترون السيف بالذهب، ويحملونها كالخشب، حتى يصيبها العطب، بدون عمل ولا تعب، قال خالد وأين هؤلاء؟ قال السيف: في بعد السادس.

(6) زوائد دودية

سالت الزيتونة الجريحة أمها: أين أخواتي، أرى في شجرة العائلة أن لي
ثنتين وعشرين أختا، قالت لها الأم: هذه زوائد دودية ونبحت عن طبيب
من كوكب آخر يستأصل هذه الزوائد ليعود الكل إلى الأصل في البعد
الخامس.

(7) من يمسح الدموع

قالت درر الندى وهي ترش ثوب شجرة الزيتون بعطرها: أرى بوجهك
الحريري دموعا، هل لي أن أمسحها؟؟؟

قالت الزيتونة: أنت تمسيحين عني التعب، أما الدموع فأنا في انتظار
(عمر وصلاح) وقد قيل لي أنهما قادمان إلى في البعد الرابع.

أجسام غريبة

حملت الأرض عكازها المصنوع من خشب اللوز الناعم وهي تضع يدها على رأسها، سارت في شارع النجوم متوجهة إلى مستشفى في زُحل يُقال إنَّ به طبيباً نابغاً

قالت للطبيب: أشكو من نزيف وصداع

- ما اسمك؟

- أرض بنت كون

- كم عمرك؟

- خمسة آلاف مليون سنة

- هل لديك شهادة ميلاد؟

- نعم، ها هي وأخرجت من جيبها بعض ذرات يورانيوم مشع

- من تشکین؟

- صداع ونزيف حاد في الصدر

- أوه، في المنطقة الخطرة من جسمك

- نعم سيدتي، أحس بالنزيف في الرئة اليمنى، التي تسمى "الجزيرة" والرئة اليسرى، التي تسمى "الكنانة" وقد أجريت لي عدة عمليات في الشريان "الأحمر" بينهما، منذ أكثر من مائة سنة وتم وصلي بالقلب "المتوسط" بواسطة "قناة" حصل انسداد بها مررتين في الخمسينيات

والستينيات وتم تسلیکه في شهر رمضان في السبعينيات حيث داومت على الصيام والصلوة والتهجد وقراءة القرآن، وتحسن الوضع، لكنه وفي التسعينيات بدأ يسوء والآن أعاني من صداع شديد ونزيف حاد

- تحتاجين إلى صورةأشعة وبإمكاننا أن نجريها الآن
نامت الأرض على السرير، أخذت لها صورة الأشعة في دقائق، فحص الطبيب الصورة، تأملها جيدا، قال:

- سيدتي، لديك مشكلة خطيرة، هناك أجسام غريبة في الرئتين والشرابين والعجيب أن هذه الأجسام نوعان: نوع محلي ونوع خارجي

- وما العلاج سيدتي؟
- عدة عمليات معقدة لاستخراج الأجسام الغريبة!!!!

ريم

ريم أمُّ كسائر الأمهات
ولأنها تقاوم
أفرغوا في روحها ألف رصاصة ورصاصة
ظنوها ماتت
نامت

حملت والشمس تغازل خصلات الندى على غدير وجهها المضيء
نظرت حولها
ووجدت البنابيع والجداول تحرسها وتنع الوحوش الضاربة والذباب من
الوصول إليها
وجريدة الخيال يحرك النسمات حولها ويرسم حدود الظل الممدود
والغزلات يرتدين العلم الحبيب وينشدن نشيد العودة
والعصافير يلبسن أثواب الشهداء الصغار ويعزفون موسيقى الوطن
والفراشات يحملن أكواب الرحيم الملائكي ويسقين أطفالاً صغاراً
رفعت رأسها
جلست على سرير من ريحان
تقدمت نحوها طفلة كأجمل ما تكون الورود
تحمل في يدها تاجاً مطرزاً بقبة الصخرة

انحنت الطفلة، قبلت يديها ووجنتيها وحبينها
وضعت الناج على رأسها
سألتها: من أنت؟؟
أنا ابنتك يا أماه كان عمرك شهوراً لما نمت!!!
ضمنتها إلى صدرها
رضعت الطفلة بقية حليب ثلجي من الصدر الشهيد!!!!
استيقظت الأم من نومها
كانت الوحش الضاربة والذباب قد هربت من رواحة العطور والزهور
الفواحة من ثرى يضم مساك الشهداء
فهي -الوحش- لا تعيش إلا في النتن

* إلى الأم الاستشهادية ريم الرياشي التي تركت وراءها طفلة رضيعة.

زغرودتان

تعودت أن تأوي إلى فراشها كل ليلة وهي تحمل ألف دمعة في قلبها ومن عينيها تتهمر، تذكر بيتها القديم الذي دمره المعتصمون، كيف أخذت تجمع بقايا الأقلام والكتب والدفاتر، بعض الملابس المدرسية القديمة، وأدوات المطبخ من بين الركام المتبقى بعد نصف البيت، كيف جاء الجيران والأقارب يقدمون لها المساعدة، فهذا يقدم فراشاً، وذاك يقدم غطاء، والثالث طعاماً، والرابع بعض آنية المطبخ.

تنذك ابنها "مجاهد" الشهيد الذي مضى إلى عليين في منتصف شهر رمضان، وهو هي الليلة منتصف شعبان، عشرات الذكريات تتناوش رأسها المثقل بهموم الوطن، أمهات الشهداء، الأرامل، اليتامي من الأطفال كالورود، قتلهم اليهود دونما رحمة أو شفقة، الرصاص، صوت الدبابات تقتتحم سكون الليل، وتدمير الأحلام الهدئة الرائعة في قلوب العاشقين، حتى الأحلام التعيسة، يدمرها أزيز الرصاص و الانفجارات توقف الأطفال من نومهم، لكن النوم إلى عينيها لا يأتي، تحس بروحها أن هناك شيئاً سيحدث، تذكر رؤياها قبل أيام، و"مجاهد" يمسك بيد أخيه "أحمد" ويبعدان عن البيت، تحاول نسيان الرؤيا، لكنها-الرؤيا- تهاجمها

في كل حنایاها وشوارعها وتفاصيلها، بل وتسري في جسد سريان الدم في العروق.

تحلم يقطة في زغروتها التي أطلقها مدوية في عنان السماء، يوم جاءها البشير يزف إليها نبأ استشهاد ابنها البكر "مجاحد" في عملية بطولية ضد المغتصبين

كيف أطلقت زغروتها الطويلة تلك؟؟

تَحْمِدُ اللَّهَ أَنَّ أَلْهَمَهَا ذَلِكَ

تذكر "مجاهد" وهو يملاً عليها البيت حيوية وشقاوة وهو طفل وهو شاب يأتى لها بهداياه الحلوة

يغني مع مسجله الصغير كصبي صغير ويردد أحمد وأخواته الصغيرات
وراءه:

"أن تدخلني ربِّي الجنة هذا أقصى ما أتمنى"

بيان مجاهد في حضنها الدافئ وهو ابن العشرين ربيعاً ويقول لها:

- تخلي يا أماه أنتي أموت شهيدا في سبيل الله

- كفاك شقاوة يا حبيبي أنت كبرت وبدى أفرح فيك

- (يُضحك) تفرحين بي في الجنة إن شاء الله

– (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، عَزَّوْ يَا بْنَى، وَتَقْبِلُهُ قَبْلَتَيْنِ)

- إذن موافقة (يقول بصوت عال ويقفز من حضنها ويقبلها ويمرغ شفتيه على خديها وصدرها وتنسكب دموعهما وتجمع الأم دموعها ودموع ابنها ببديها ثم تمسح وجهها ووجهه بخلطة من دموعهما).

تنذكر كيف جاءها المهنئون والمهنئات من كل حدب وصوب يحملون في قلوبهم الحب والغيرة وربما الحسد، ما أسعدها أم مجاهد، ها هي تقدم ابنها شهيدا

- مبروك يا أم الشهيد

- الله يبارك فيكم وعقبال كل مشتهي وكل مشتهية

- الله يجمع بينكم في الجنة إن شاء الله

- مين قدتها... أم مجاهد!!!

- يا ريت واحد من أولادي يستشهد

- والله ابني الثاني "أحمد" كل يوم يقولي أنه رايح يستشهد

- يا أختي بيكوني واحد، خلي لغيرك

تنذكر كيف حبات المطر تننزل من السماء فترسم على الأرض لوحات من الجمال الخلاب يتنهى فيها الشعراء والأدباء ويشرب منها الفلاحون ويزرعون ويتنايلون في جنات حقولهم ونسماتها الفواحة تملأ الكون.

ترى ما وجه الشبه بين الدموع والمطر؟؟

هل الدموع ترسم الفرح على عيون الأطفال وعلى وجنت الوطن

الجريح؟؟

هل صحيح أن الدموع تروي قبور الشهداء؟؟
هل صحيح أن دم الشهداء يروي الأرض؟؟
هل صحيح أن دم الشهداء ينبع براعم الشهداء القادمين؟؟

تنظر إلى زوجها الذي يتقلب في فراشه يميناً وشمالاً، يذكر الله، يستغفر،
تضع يدها اليمنى على جبينه، تقرأ آية الكرسي والفاتحة والمعوذتين حتى
ينام أبو مجاهد ليستيقظ عند الفجر ويبدأ يوماً جديداً من الكد والسعى
وراء الرزق

وبينما هي تناجي ابنها "مجاهد" ودم الشهداء وتقرأ القرآن في شريط
متواصل، بعد منتصف الليل بقليل تسمع صوت رصاص وانفجاراً ضخماً
يهز القرية بأكملها.

ذهبت إلى غرفة ابنها أحمد، ويا للمفاجأة أَحْمَد لِيُسْ في فراشه؟؟؟
- أين هو؟؟؟
- تحيب على نفسها: استشهاد... أَشَهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا حُوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللهِ، إِنَّا لِللهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

شرعت تدور في ساحة البيت، تسبّح وتتوحد وتتهلل ، تبحث عن
زغروتها الثانية، فتشتت عنها في كل مكان
في فراش أَحْمَد،
في بقايا وأصداء زغروتها الأولى،

في حنجرتها وبقايا من صوتها،
في ضوء القمر، في النجوم، في الثرى،
في جدران البيت، في شوارع الحارة

دق الباب... أسرعت... فتحت وقلبها هناك عند زغروتها الأولى
- أزغرد زغرودة الثانية؟؟؟
- نعم يا أماه هنيئا لكم ولأحمد الشهادة

انطلقت الزغرودة الثانية
تعانق الزغرودة الأولى
في سماء الوطن

وزرعت روحي

جلس وحدى في دجى ليلة ليلاء، كما هي عادتى بعد وفاة والدى وجدى (رحمهما الله)، فى ظل غيمة سكنت فوق رأسي فلم تغادرنى حتى أوشك الصبح أن يتبدى، وهنا اقتربت مني الغيمة حتى لم يكن بيني وبينها سوى شبر أو شبرين، تملكتى خوف شديد وهى تقترب مني، حتى قلت فى نفسي: أهرب وأتركها، أتوارى خلف نجمة تطل على بعئينيها اللامعتين من ثقب صغير فى الغيمة. حاولت اختراق الثقب جهدي، ففزت إلى أعلى، ضمتى الغيمة بيديها إلى صدرها، أمسكت بي ولم يعد لي مفر أن أتركها، أو حتى أحاول إلى ذلك سبيلا، ظلت الغيمة تضمنى وبدأت ترتفع رويدا رويدا، قلت ويهك إلى أين نذهبين بي؟، لي هنا خيمة وروح وزيتونة، من يرعاه؟؟؟

ضحكـت الغـيمة وـقالـت أـلـا تـعـرـف إـلـى أـيـن؟؟؟ سـأـحـمـلـك إـلـى بـيـارـة الـبـرـقـالـ في يـافـا!!! بـيـارـة أـبـيـكـ وجـدـكـ، نـقـطـفـ مـنـهـا بـرـقـالـتـينـ وـوـرـدـتـينـ وـكـأسـينـ منـ العـصـيرـ المـصـفـىـ، ثـمـ أـحـمـلـكـ وـتـعـودـ إـلـى هـنـاـ، أـوـ إـذـا أـرـدـتـ أـنـ تـبـقـيـ هـنـاكـ، فـاكـ ذـلـكـ.

وما هي إلا ثوان بتوقيتي أو بتوقيت الغيمة حتى وجدت نفسي أحط في
بيارة عظيمة تمتد في كل مكان، أوراقها الخضراء الداكنة وأغصانها التي
تعانق الندى والغيمة، حبات البرتقال الذهبية، المدلاة كقروط في أذان
حسناوات يرتدين أجمل الحال، لثمت الأرض... أكلت من رملها
الذهبي... شربت من حبات الندى المتكدسة على الأوراق النازفة والرمل
سكتت عيوني دموعاً كنهرين يفيضان من شدة المطر، وجدت نفسي في
مكان كنت أحلم يوماً أن أكون به، وها أنا اليوم أمرغ جسدي فيه... أهنا
كان أبي يصلو ويجول ويحرث الأرض وبزرع الشجر؟؟؟ أهنا كان
جدي يمتطي ظهر حصانه ويدور حول البيارة يحميها ويمسح العرق عن
جيبيها والقذى عن عينيها أهنا كانت جدتي تخزى الخبز الدافئ الجميل...
أهنا كانت تطحن القمح والعدس بطاحونة الحجر يا إلهي هذا هو بيتهem...
يا إلهي وهذه هي الطاحونة وهذا مربط الفرس... رباه أين أنا؟! أحقيقة أم
حلم؟؟ الليل أم نهار؟؟ غرفت في نفسي، هربت من نفسي كي أعرف
نفسي أنا أنا؟؟ من أنا؟؟ هل حقيقة أنتي ما زلت على ظهر الأرض أم
هي أحلام العفاريت تأتينا ثم تهرب؟؟؟ إلهي إلهي
رفعت رأسني وجدت الغيمة تتظر إليّ وتحضك حان وقت الرحيل هل
ترغب في المغادرة؟؟؟ كأنها تقرأ قلبي وروحني ومشاعري!!
انتظر قليلاً سأحمل إليك خيمتك وروحك والزيتونة من هناك!!! ظلت
عيناي معلقتين بها انتظرت أن نذهب لحظات وجدت خيمي وروحني
وزيونتي يهبطان من السماء تلقفهم قبلتهم، لثتمهم، زرعت الخيمة أمام
بيت جدي وزرعت روحي في قلبي والبيارة وزرعت الزيتونة أمام
خيمي وفي بيارتي لتتمو وتكبر في روحي

القبلة الدامية

رسمت بشفتيها الورديتين اتجاه بوصلة القلوب الجديدة،
كتبت بأحمر دمها حرفين عربيين "ش" و"غ"
أصبحت الفراشات والأسماك تسير في هذا الاتجاه
قرطاجة تحمل شمسيتها في آذار متوجهة نحو النهرين الجميلين لعلها تصل
قبل حلول القيظ،
تمردت الدبابير وحشدت كل أصواتها ولم تعرف باليوصلة الجديدة،
حاولت استمالة بعض الفراشات وعدتها بـ"قبلات" وـ"ماكياج" وـ"جبس"
وـ" عمليات تجميل في "الوجه" وـ"القفا"
احتازت الدبابير "البحر" تحمل "الغيث" حطت الرحال على ميناء "شفتيها"
عجبًا لك !!! لم لا تضعين "أحمر الشفاه" أبقي أحد في العالم "الحر" لا .. ؟
نظرت وبعينيها كل "كلام الدنيا" ...
شفتها تنفجران ... تعرق كل الدنيا في "دمها"

الماجدة ذات الضفيرتين

"ماجدة" ذات العينين الزرقاءين تطل بأيقونة جسدها الساحر نحو البحر
فتكتسوه زرقة وبهاء وتملاً الكون من عبق العطر الفواح من صدرها
الفارع

ضفيرتها الحريريتان الناعمتان تمتدان على ظهرها كنهرين جميلين
پنسابان راقصين مع نسائم الهواء الحالمة

قبل أن تأوي إلى فراشها كل ليلة، تنظر من شرفتها نحو بحرها الرقراق،
ترسم على ثغره الباسم بشفتيها الورديتين قبلة طويلة، ينصلّر فيها
رحاها المعسول

تتجمع حول الشفاه المتداخلة نحلات وفراشات وطيور تقرأ معا كتاب
القبل الدافئة... تنتهي القبلة الطويلة أولاً ... تنتهي تتعانق النحلات
والفراشات والطيور لتكمّل الليل الجميل

ينظر الذئب الماكر إلى العرس الساهر، يبحث عن صيد تحت النخيل
الكثيف يحدث نفسه: آآه ما أشهى الرحيق في شفتيها!!!! ما أركى
الطيب في ثدييها !!!!

تسدل "ماجدة" ستائر شرفتها المصنوعة من سعف النخيل ذي اللون
الذهبي... تأوي إلى فراشها في براءة الفراشات حولها، يتلألأ الذئب...

حوله الفراشات والنحلات والطيور تلهم في عنق باب شرفتها، لا يزال
مفتواها، وثبت نحو الشرفة، دخل الغرفة، قفز نحو السرير، غرز مخالبها
في صدرها، غرس أنيابه في شفتيها
وثبت "ماجدة"
صرخت "ماجدة"

سمعت صرختها الفراشات والنحلات والطيور، أسرعت نحو الغرفة
يا لهول ما رأت
"ماجدة" تغرق في دمها، تلف ضفيرتها بإحكام حول عنقه، تخنق الذئب،
يصرخ الذئب
تهجم عليه النحلات، تلسعه، تهجم عليه الطيور، تفقأ عينيه بمناقيرها
تشد "ماجدة" الصفائر حول العنق
يلفظ الذئب آخر أنفاسه

اغتصاب

"قمر" تملأ كل صباح جرَّة الماء من البئر وتسقي أهل الحارة ماءً عنباً فراتاً

وقبيل الغروب تطعم دجاجاتها وتغنى أغنية الوداع لشمس الأصيل
فتتخصت إليها الطيور قبل أن تأوى إلى أوكرارها فتتم على شدوها
يحبها الطيبون والبسطاء في حارتها
ويضمُّر لها العداء والحسد آخرون
وهي تغنى للجميع

ويمكر الحاسدون ويطلبون من الغريب الأمرد حليق الشارب واللحية ذي العيون الزرقاء أن ينتظرها عند البئر ليكسر جرتها ويلوث طهرها وأخفوا الغريب ليلتها في بيوبهم وخرج في الصباح يحمل عكاذه اللامع في يده متوجها نحو البئر والحسدون يتهماسون وينظرون من ثقوب الأبواب والشبابيك

و"قمر" كعادتها في الصباح تحمل جرَّتها على رأسها تمشي كغزاله انحنت عند البئر لتتدلي جرَّتها
اقرب منها الغريب دعيني أملأ لك الجرة
ناولته إياها

أمسك الجرَّة... استدار... كسر الجرة فوق رأسها
استدارت هي، وجهت إليه ضربة قوية
حاول الهرب فانزلقت قدماه فسقط في البئر

هويتي

قبل بزوح الشمس، حمل فأسه على كتفه، وضع يده في جيبيه، اطمأن أنه يحمل "مصحفه" حيث اعتاد أن يقرأ بعض الآيات عقب أدائه صلاة الظهر في مزرعة الزيتون، تداعبه نسمات غربية تهب من جهة البحر الذي يطل على القرية بعينيه، تتقاطر على رأسه جواهر الندى الخجولة، تنساب على صفحة جبينه الرفراق،

يحس ببردتها سلاما في القلب وروحه، تسير عجلات الندى ببطء جميل متراقصة على شعيرات رمادية تزين لوحة وجهه الصبور، تتمايل كإبل الصحراء تحمل على كاهلها سنِيَ الوهن، لكن بقوة وعنفوان، وهذا هو اليوم يكاد يودع ثمانين ربيعا قضاها بين زيتوناته، يربيها كأعز وأغلى أبنائه.

ها هو يسير كغزاله تبحث عن ولیدها المفقود، يعني ظهره حينا، يلقط عودا من حطب، أو مسمارا تائها فكل ذلك ينفع وقت الحاجة، يضع المسامير والأسلاك في جيبيه، يسير... ينتكر رؤياه قبل أسبوعين أو حولهما، يوم رأى الشهيد أسامة في منامه-الشاب العابد الرقيق ، رآه يسبح في أنهار الجنة ويطير على أشجارها

- شهران فقط هما الباقيان على موعد قطف الزيتون وعصره

- ترى، هل ستكون الأسعار هذا العام متربدة كما كانت في الأعوام السابقة؟؟

- هل سأعيش لأدرك موسم هذا العام؟؟
أزيز الرصاص يأتي منقطعاً من جهة "المغتصبة"، ينحرف "الحاج" إلى يمين الشارع، يتوارى بجذع زيتونة أخيه المرحوم، التي زاد عمرها عن مئة عام، زرעה أبوهما قبل أن تخلق "دنيا هذه الأيام"
بينما هو في ذكرياته يصل ابن أخيه صاحب الزيتونة ويسلم عليه، أحاس أن في الأمر شيئاً، حاول أن يخفى عن ابن أخيه أحاسيسه ومشاعره، تذكر رؤياه فقال مبتسمًا:

- "الله يطرح لك البركة" في هذه الزيتونة

- لقد طرحت في العام الماضي خمس عشرة تتكّة زيت وهي على "حطة إيدك" لم نبع منها ولو بدرهم واحد

- كان الله في العون، إن شاء الله البركة تيجي هاي السنة

- والله يا عمي الحاج شكّلها ما بدها تتحسن ها الدنيا

- إحنا ما علينا إلا نعمل والباقي على الله وللي بتنزله السما بتتقاه الأرض

- إنها الشجرة المباركة

- لا شرقية ولا غربية

- يكاد زيتها يضيء

وبينما هما يتجادلاني أطراف الحديث ريثما يهدأ أزيز الرصاص الهادر حولهم، كانت أوراق الزيتون المعلقة بالندى تتسلق على رؤوسهم وملابسهم، حبات زيتون جميلة استحمت بماء الندى تضرب رؤوسهم،

يمسك الحاج واحدة منها، يشمها، يقبلها، يضعها في جيبه مع مسامير وغيرها كان يجمعها في طريقه، حبات أخرى تتفاوز حولهم، يجمعون بعضها ويتركون تلك الشقية التي تتصرف كطفلة رشيقه تتط الحقيل بساح الدار أو بالقرب من الباب.

ويتذكر الحاج حفيته التي كان ينهرها وهي تلعب بالحبل وترقص لاهية عابثة، طالبا منها أن تأتي معه لتجمع ما تساقط من زيتون قبل موعد "الجد"

لم يهدأ أزيز الرصاص، وبينما هما كذلك، فوجئا بجنود الاحتلال وقطعن المختصبين يضربون عليهما طوفا شديدا ويطلقون الرصاص من كل حدب وصوب، ويصرخون عليهم:

- "هوية... هوية"

لم يتعود الرجال على حمل هويتهم الشخصية
زادت الصرخات واقترب الجنود وتعالى صوت الرصاص
- "هوية... هوية"

وضع الحاج يده في جيبه، ليس فيها إلا المسامير والأسلاك وبضعة من حبات الزيتون أخرج حبات زيتون من جيبه وقال:
- هذه هوينتي

- صرخ المختصبون بغضب "بنكول" هوية بلكرة غريبة دخلة
نظر إليهم الحاج وحبات الزيتون بيده
- أقول هذه هوينتي"

وضع يده اليمنى في جيبه وأخرج "المصحف" وقال:
- هذه أيضا هوينتي

لم يتمالك المختصيون أنفسهم
إنهالوا على الرجلين بزخات الرصاص
سال دمهمما في كل مكان
روى دمهما الطاهر زيتونة عمرها مائة عام وأكثر
وزخرف دمهما غلاف "مصحف" كريم
رسم الدم لفظ الجلالة "الله" على الغلاف

فَلَيْسَ

3	إِهْدَاء
5	مُقْدَمَة
7	مَقَارِبَةٌ نَقْدِيَّةٌ فِي أَدْبَرِ مُحَمَّدِ رَمَضَانَ
23	الْعَصْفُورَة
25	لَا تَحْرِجِنِي
26	الْعَبْدَةُ السُّوْدَاءُ
28	لَمَذَا يَا أُمِّي
30	الْمَعْلُومَةُ السُّوْدَاءُ
32	الْفَارَسُ وَوْشُوشَاتُ الْقَمَرِ
35	اللَّهُمَّ أَنْصُرْنَا عَلَى الْحَمِيرِ
36	حَضْنُ الْوَسَادَةِ
37	مُوْمِسَاتٍ
38	تَهْمَةُ الْقَمَرِ
39	لَا سَيِّدَنِي كَلِمَهُ شَرْفَاءِ
40	نَفْقُ الْعَرَائِسِ
41	الرِّيحُ عَارِيَّةٌ
42	دَمْوَعُ قَلْمَ
44	الْعَيْنُونُ الْعَسْلِيَّةُ

46	أشلاء عروسين
48	فاطمة
51	أحبهم يا أمي
54	كيف أنال رضا أمي؟
57	الشهيد القادم
60	جوانتنامو
64	حورية
68	خذوني معها
70	عيد العراة
73	من يحاكم البحر
79	قبلة على خدتها المرواني
82	السما هي العنوان
83	عراء والألف قبلة
87	أنثى قذرة
90	عطور الفجر
93	دم الزهور
98	الخازوق السابع
101	سبع فضائح رسمية
104	عيناك، غابتنا نخيل
106	حينما يعشق الأطفال
111	أمّاه
114	عشيقتي في عيد العشاق

115	سلة الأحلام
118	في حضن أبيها
123	غسالة مونيكا
126	وشوشات الدموع
131	الدببة الشهيدة
134	الطفلة العارية
138	هدية شارون
141	الوحل الأسود
144	نفق العراة
146	الجذور
149	الطاحونة
153	دم العرائس
156	وردة حمراء
158	العار
160	لوغاريتيم النور والبعد العاشر
162	وردة وحجر
165	نور وظلم والبعد العاشر
168	أجسام غريبة
170	ريم
172	زغروتنان
177	وزرعتُ روحي
179	القبلة الدامية

الماجدة ذات الصغيرتين	180
اغتصاب	182
هويتي	183
الفهرس	187

من إصدارات رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين

المؤلف	الإصدار
أ. ناهض الرئيس	رواية البيارة الصائعة
أ. د. عبد الخالق العف أ. رشـا العدلوني	الرنتيسي إنساناً وقائداً وشاعراً
أ. د. عبد الخالق العف	دراسات في الشعر الفلسطيني المقاوم
أ. يونس أبو جراد	آتكم بقبس
أ. محمد أبو نصيرة	في كل سنبلة
مجموعة من الباحثين	اليوم الدراسي النكبة مأساة أرض